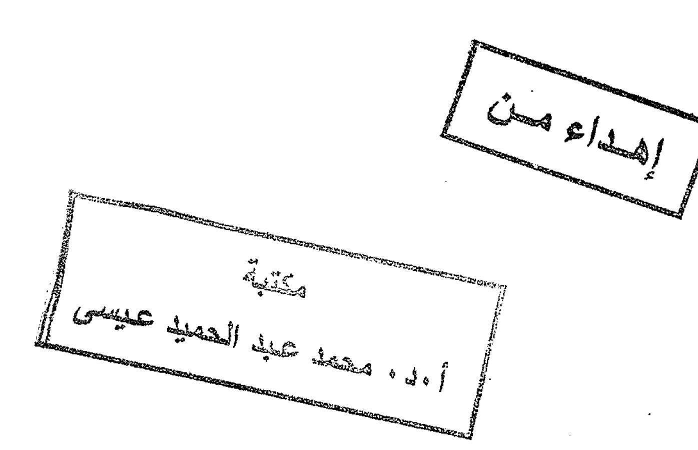


المستشرق الاسبانى

فرانثيسكو قوديرة

من

التاريخ السياسى لغرب الأندلس

تقديم ودراسة وترجمة

الدكتور محمد عبد الحميد عيسى

أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد

بكلية التربية - جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــداء

الى القائدين العظيمين

موسى بن نصير

وطارق بن زياد

إلى تلك الأرواح الخالدة التى حملت رسالة الاسلام إلى أرض الأندلس

وإلى تلك الامة الاندلسية العظيمة التى مازالت حية فى نفوسنا رغم مرور ٥٠٠ عاما على ضياع الأندلس

أهدى هذه السطور

الدكتور محمد عبد الحميد عيسى

غرب الأندلس

مقدمة

يعد اقليم الغرب Al Garbe فى الاندلس أحد الاقاليم الاساسية التى شهدت أحداثا جساما طوال العصر الاسلامى وكانت له خاصيته بدءا من الفتح الاسلامى ، وحتى تكونت فى الجزء الأكبر منه دولة البرتغال الحالية .

ولقد ازدهر هذا الاقليم حضاريا بصورة جلية ، ونمت فيه عدة مدن هامة منها ماردة وبطليوس ، باجة ، وشلب ، ويابرة وشنترية وأشبونة وأكشونية وغيرها من المدن التى انجبت عظماء الأدباء والمفكرين والعلماء .

وإلى جانب هذا الأزدهار الحضارى شهد اقليم الغرب الكثير من الاحداث السياسية والثورات والقلاقل حتى أنه قد جذب انتباه المؤرخين الاسبان فخصوه بالمؤلفات ، وركزوا عليه الدراسات والابحاث ومن ذلك تلك الدراسة التى أعدها المستشرق الاسبانى المعروف فرانثيسكو قوديرة Francisco Codera والتى يسعدنى تقديمها إلى قراء العربية ممهدا لها بدراسة مختصرة لعل فيها بعض الفائدة ، والله ولى التوفيق

د. محمد عبد الحميد عيسى

دراسة تمهيدية

معنى غرب الاندلس

يقسم المقرى بلاد الاندلس إلى قسمين اساسيين هما الاندلس الغربى والآخر شرقى " فالغربى منهما ما جرت اوديته إلى البحر المحيط الغربى ، وتمطر بالرياح الغربية ، ومبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف إلى بلد شنتمرية " (١) .كما يكرر ذلك نقلا عن كتابات اندلسية فقدت ولم تصل الينا حتى الآن ، ويحدد الاستاذ الدكتور حسين مؤنس بأنه كل ما يلى اشبيلية غربيا إلى المحيط ... وفيه البرتغال كلها ، وقد كان داخلا فى زمام العروبة منذ الفتح إلى أواخر دولة الموحدين " (٢) .

الفتح الاسلامى لغرب الأندلس :

اتجه المسلمون لفتح الاندلس بعد تمكنهم من استكمال الفتح الاسلامى لبلاد المغرب فقام موسى بن نصير رضى الله عنه بارسال بعض الحملات الاستكشافية تمكنت من الأطلاع على عورات البلاد الاندلسية والتاكد من إمكانية القيام بعمل عسكرى ناجح ضد هذه البلاد ، ثم ارسل بعد ذلك قائده الفذ طارق بن زياد على رأس جيش صغير لا يتجاوز ما بين سبعة آلاف مقاتل وأثنى عشر الف مقاتل فقط (٣) .

حقق طارق بن زياد انتصارا حاسما على القوط فى معركة " وادى لكة" عام ٩٢ هـ / ٧١١م تمكن به من تحطيم عماد المقاومة العسكرية لدولة القوط الغربيين فى اسبانيا ، وفتح الباب واسعا امام المسلمين لفتح باقى انحاء شبه الجزيرة الايبيرية حتى ان الرازى قد صاغ ذلك فى عبارة جامعة عند تعليقه على هذه المعركة الحاسمة فقال " وفتح للمسلمين الأندلس "(٤)

لكن هذا النصر لم يكن بعنى زوال سلطة القوط كاملة من كل أنحاء شبة الجزيرة حيث

سارع الزعماء والقادة إلى التجمع مرة ثانية فى العاصمة طليطلة " للملمة قواهم وإعادة تكوين جيشهم " (٥) . ومن ثم كان ضروريا أن يتجه طارق بن زياد إلى طليطلة العاصمة مباشرة دون ان يتجه غربا أو شرقا لكى يحقق الهدف الاساسى الذى نصحه به خوليان حاكم سبته وهو عدم منح الفرصة مرة أخرى للقوط لكى يتجمعوا ويتوحدوا فقال له : " لقد فضضت جيوش القوم ورعبوا ، فاقصد لبيضتهم وهؤلاء أدلاء من أصحابى مهرة ، ففرق جيوشك معهم فى البلاد ، وأعمد أنت إلى طليطلة حيث معظمهم ، فاشغل القوم عن النظر فى أمرهم " (٦) .

وجه طارق بن زياد بعض فرق جيشه لفتح غرناطة وقرطبة وبعض أجزاء جنوب شرق الأندلس ، لكنه لم يوجه أى جزء من جيوشه لغرب الأندلس .

عبر موسى بن نصير إلى الأندلس فى شهر رمضان من عام ٩٣ هـ يونيه ٧١٢ م فى جيش عظيم يربو عدده على ثمانية عشر ألفا من المقاتلين المسلمين جلبهم من العرب ، وكان فيهم اشراف القوم وعدد من التابعين رضوان الله عليهم وكان موضع عبوره من سبته إلى الجزيرة الخضراء أو قريبا منها فى مكان عرف باسم " مرسى موسى " (٧) . وهناك توافت إليه الجنود ، وتجمعت لديه القوات براياتها ، وأسس هناك مسجدا لعله أول مسجد قام المسلمون ببنائه فى الأندلس عرف باسم مسجد الرايات حيث كان مقرا لاجتماعات موسى بن نصير مع أصحاب راياته للتشاور (٨) .

لم يتجه موسى بن نصير إلى الطريق الذى أخذه من قبله قائده طارق بن زياد ، وإنما سأل عن المدائن التى لم يفتحها طارق ، والمناطق التى يمكن له ان يقوم بالجهاد فيها ، فدله الأدلاء على اتجاه غرب الأندلس فأخذ يستعد لفتح هذه المناطق ذات المدن العظيمة ، والتحصينات القوية ، تمكن من استدراج الأدلاء الاسبان من اصحاب يوليان حين قال لهم : ما كنت اسلك طريق طارق ، ولا اقفوا أثره فقال له العلوج الأدلاء : نحن نسلك بك طريقا هو أشرف من طريقه ، وندلك على مدائن هى أعظم خطرا ، وأعظم خطبا وأوسع غنما من مغانمه لم تفتح

بعد ، يفتحها الله على يديك فملئ سرورا (٩) .

موسى بن نصير وفتح الغرب الأندلسى :

اتجه موسى بن نصير بجيوشه إلى مدينة شذونة ففتحها عنوة والقوا إليه بأيديهم ، ومنها سار إلى مدينة قرمونة ، وليس بالاندلس أحصن منها ، ولا ابعد على من يرومها بحصار أو قتال فعمد موسى بن نصير إلى الحيلة ، حيث سبقه إلى المدينة بعض رجال يليان ، وتمكنوا من دخولها على أساس أنهم فلول منهزمة من الجيش القوطى ، وتمكنت هذه الجماعة من الايقاع بالحرس فى الوقت الذى اقترب فيه موسى وجيشه ليلا من المدينة ، وبذلك تمكن من فتحها .

ومن مدينة قرمونة اتجه موسى بن نصير إلى أشبيلية ، وقام بحصارها وكانت هذه المدينة كما يصفها المقرى " من أعظم مدائن الأندلس شأنا وأعجبها بنيانا ، وأكثرها آثارا ، وكانت دار الملك قبل القوطيين فلما غلب القوطيون على ملك الأندلس حولوا السلطات إلى طليطلة وبقى رؤساء الدين فى أشبيلية " (١٠) .

ظل موسى على حصار مدينة اشبيلية عدة أشهر حتى تمكن المسلمون من فتحها وينقل الدكتور سالم عن المستشرق الاسبانى سيمونيت ان ذلك قد تم بمساعدة من أسقف المدينة والجالية اليهودية (١١) ولقد هربت حاميتها الاسبانية الى مدينة باجة وقام موسى بن نصير بضم يهود المدينة الى قصبتها (١٢) ومعهم بعض المسلمين ثم سار الى مدينة ماردة اهم مدن اقليم غرب الاندلس فى ذلك الحين لانها كانت ايضاً دار بعض ملوك الاندلس ، ذات آثار وقنطرة وقصور وكنائس تفوق الوصف (١٣) و وكذلك كانت ماردة من أمنع معاقل استرامـــادورا Extra-ma dura ومن أعظم مدن اسبانيا فى العصر الرومانى اذ أسسها الامبراطور اغسطس قيصر سنة ٢٥ ق . م ، وجعلها عاصمة لاقليم لشدانية Lusitania ولقد حملت ماردة مشعل الحضارة الرومانية فى اسبانيا حتى اصبحت تعرف برومة اسبانيـــــا La Roma de Espana (١٤).

ولقد قاومت هذه المدينة مقاومة شديدة ، وفقد المسلمون كثيراً من الشهداء وخاصة جماعة

المسلمين الذين تقدموا فى حماية احدى الدبابات التى صنعوها لكى ينقبوا سور المدينة واستشهد تحت دباباتهم ، ودام حصار المدينة مدة طويلة حتى اضطر سكانها الى عقد صلح مع موسى بن نصير من شروطه ان تكون للمسلمين اموال القتلى من النصارى ، وأموال الفارين الذين هربوا الى جليقة فى الشمال ، وأموال الكنائس وحليها وذلك يوم عيد الفطر ٩٤ هـ وفى تلك الاثناء تجمع فى مدينة اشبيلية عدد من الفارين من القوط وامكنهم الاستيلاء على المدينة من حاميتها الاسلامية ، وقتلوا من المسلمين حوالى ثمانين رجلاً وهرب الباقون الى موسى بن نصير الذى ما ان انتهى من فتح مدينة ماردة حتى وجه اليهم ابنه عبد العزيز الذى تمكن من الانتصار على المتمردين القوط وان يعيد المدينة الى حوزة المسلمين ، كما تمكن من فتح لبلة وماجاورها فاستقامت الامور هناك ، وعلا السلام ، واتجه الامير موسى من ماردة فى عقب شوال من عام ٩٤ هـ يريد طليطلة (١٥)

يتضح من هذا العرض مدى الجهود التى بذلها المسلمون لفتح غرب الأندلس ، وأنهم ضحوا كثيرا بالأنفس والأموال فى هذا الأقليم ربما أكثر من أى أقليم أندلسى آخر .

ذهب موسى بن نصير بعد ذلك للقاء طارق بن زياد فى طليطلة ، ومن هناك توجها معا لفتح شمال شرق اسبانيا والشمال و الشمال الغربى واعتقد أن موسى قد بذل جهدا آخر لاستكمال فتح غرب الأندلس حيث أورد لنا الدكتور حسين مؤنس بعض نماذج التنظيم الإدارى لهذا الاقليم ومن ذلك الصلح الذى عقد مع أهل قلمرية Coimbra فى أقصى غربى الأندلس ، ومن ذلك النص يشير د مؤنس إلى أن " أهم ما فى هذه المعاهدة هو أن يكون لأهل قلمرية الحق فى أن يحكموا أنفسهم بقوانينهم التى تعودوا أن ينظموا بها أمورهم قبل مجئ المسلمين ، وأن يكون لهم حاكم منهم يقوم بالقضاء بينهم ، وينفذ الأحكام فيما عدا احكام الاعدام إذ كان لابد من عرضها على الحاكم الاسلامى المقيم . وكان هذا العامل المسلم يقيم فى قلمرية ممثلا لسطان المسلمين ، ومعه حامية تؤيده وتحميه ، وتمنع النصارى من الانتقاض عليه ، فإذا وقعت

خصومة بين مسلم وواحد من أهل البلاد كان لابد من عرضها على الحاكم المسلم الذى يقضى فى الأمر بمقتضى الشريعة الاسلامية ، وإذا اعتدى نصرانى على مسلمة الزم باعتناق الاسلام والزواج منها ، فاذا كانت متزوجة لم يكن له من الموت بد (١٦).

غرب الاندلس فى ظل الحكم الاسلامى :

حفل تاريخ غرب الاندلس السياسى بالكثير من الفتن والقلاقل والثورات السياسية وذلك بحكم الموقع الجغرافى ، وبعده عن العاصمة ، وسهولة اتصاله بالبحر المحيط من ناحية وممالك الشمال المسيحية من جهة أخرى ومن ثم فلا عجب أن ظهرت شخصيات بارزة مثل ابن مروان الجليقى ، الذى كان أكثر ثوار المنطقة شكيمة وشدة مما حمل امراء بنى أمية على إيفاد الحملات تلو الحملات لاخضاع هذا الاقليم ، وبسط سيادة الدولة الاندلسية عليه .

كما كان هذا الاقليم مسرحا لهجمات النورمانديين الذى حطوا على سواحله الغربية على عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ثم تواصلت حملاتهم على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ، إلى أن عاودوا الظهور على شواطئ الأندلس بعد ذلك فى عصر الخلافة .

كما شهدت مناطق غرب الاندلس ازدهارا حضاريا حقيقيا ، وكانت فيه المدن الزاهرة كمدينة أشبونة عاصمة البرتغال حاليا ومدينة شلب مرتع شباب المعتمد بن عباد ، ومدينة بطليوس حاضرة بنى الأفطس والذين كانت أيامهم فى غرب الأندلس اعيادا ومواسما وكانوا ملجأ لأهل الأدب(١٧). ١٣

كما برز من أهل المنطقة بعض القضاة الذين ارتقوا إلى مكانة قاضى الجماعة فى الاندلس مثل القاضى سعيد بن سليمان الغافقى والذى كان رجلا صالحا متقشفا مهيبا متمسكا برأيه عندما يكون على حق ، وقد ولاه الأمير محمد الذى تعرف عليه جيدا حينما كان الأمير محمد أميرا على ماردة وسعيد بن سليمان قاضياً عليها(١٨).ومنهم ايضاً كل من قاضى الجماعة معاذ بن عثمان الشعبانى ، والقاضى سعيد من قاضى الجماعة محمد بن بشير بن شراحيل .

وإلى جانب هؤلاء القضاة هناك عدد آخر من أبرز الشخصيات العلمية والأدبية التى نمت وترعرعت على أرض غرب الأندلس ، ومنهم الفقيه الجليل أبى الوليد الباجى والذى رحل إلى المشرق ، وعاد إلى الأندلس حاملا العلم كله ، وكم ناظر العلماء وبزهم والأدباء فرعهم ، وأصطدم بالفقيه العظيم ابن حزم الاندلسى والذى ترجع أصوله أيضا إلى قرية فى غرب الأندلس هى " وليه " ولابد من الإشارة إلى شاعر الاندلس الكبير ابو بكر محمد بن عمار ابن مدينة " شلب" وهو الرجل الذى ارتقى به شعره ليجعله نديما للمعتمد بن عباد ، ثم وزيرا ، حتى طمحت نفسه إلى الإمارة ، وكان ذلك الطموح سبب أهلاكه فى ملحمة درامية تجمع بين الصداقة والحب والسلطة والكراهية .

ومن أهل الغرب أيضا الوزير آبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب المرثية الذائعة الصيت التى تسمى بالقصيدة العبدونية والتى مطلعها

الدهر يفجع بعد العين بالأثر

فما البكاء على الأطلال والصور(١٩)

واختتم هؤلاء بالاشارة إلى ابن بسام الشنتريني الكاتب المؤرخ صاحب كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ولقد ضاعت بلاد غرب الاندلس بعد هزيمة الموحدين فى معركة العقاب التى وقعت فى العشرين من محرم ٦٠٩ هـ / يونية ١٢١٢ م . اجتمع عليها ملوك ممالك النصارى شمال الاندلس حتى اخرجوها من أيدى المسلمين ، هذا هو الاقليم الذى اهتم به المؤرخون الاسبان اهتماما بينا وها أنا أقدم ترجمة لواحد من الأبحاث التى كتبت عن هذه الناحية .

من هو فرانثيسكو قوديرة Francisco Codera Zayad in

ولد فرانثيسكو قوديرة عام ١٨٣٦ ميلادية وانتقل إلى جواررية عام ١٩١٧ ، وأصبح واحدا

من اهم المستشرقين الاسبان ووصل الى كرسى استاذية اللغة العربية والاسلام بجامعة مدريد، كما احتل مكانه فى مجمع الخالدين باسبانيا كعضو فى الاكاديمية الملكية الاسبانية للغة la Real Academia Espanola de la lengua * وكذلك الاكاديمية التاريخية (٢٠).

La real Acodemia de Histroi. ولقد اشرب كوديرة حب العرب ، ويقال انه ينحدر من اسرة عربية الأصول شأن كثير من الأسر الاسبانية ، واختار لاسمه صيغة عربية هى " الشيخ فرنسيتكه قدارة زيدين " .

كان قوديرة يمثل نقطة تحول بارزة فى نظرة المستشرقين الاسبان إلى التراث العربى والاسلامى ، فقد عمل على تحقيق كم ضخم من المخطوطات العربية وأصدر ما أسماه بالمكتبة الاندلسية Bibelioteca Arabigo - Espanola ، ولعل هذا أو تحقيق لتلك المجموعة ومنه نقلت الطبعات التالية لها .

ويرى الدكتور مصطفى الشكعة بأنه " لعل كوديرا هو المستشرق الوحيد الذى علا صوته بمدح المسلمين ، وتمجيد اعمالهم واعلان فضلهم على الحضارة الانسانية ، وحفاظهم على التراث القديم (٢١)*.

أهمية هذه الدراسة :

تكمن اهمية الدراسة فى ذلك المجهود العظيم الذى بذله قوديرة لكى يجمع انباء غرب الاندلس فى المصادر العربية ويقدمها لقراء الاسبانية وهناك نقطة أخرى ذات قيمة واضحة وهى مقارنة الروايات الاسلامية بالروايات الواردة فى المصادر الاسبانية القديمة ، ووصوله الى مجموعة من الحقائق اهمها صدق الروايات الاسلامية وتطابقها مع الواقع ودقتها على العكس مما ورد فى المدونات الاسبانية والتى غلب عليها فى بعض الاحيان عدم الدقة واللجوء احياناً الى قبول بعض الروايات التى يمكن يان تقبل فى الادب الشعبى ولكن لا يمكن القول بها فى مدونة تاريخية .

ملاحظة اخيرة

تمكنت والحمد لله من العودة الى النصوص الاصلية التى اعتقدت ان المؤرخ اعتمد عليها فى ترجمته ، وسجلت فى الهوامش اين يمكن للقارىء الكريم الاطلاع على النصوص الاصلية فى مصادرها الاسلامية .

والله ولى التوفيق

هوامش الدراسة

١ - المقرى : نفح الطيب ، طبعة يوسف البقاعى جـ ١ ص ١٣٢

٢ - مؤنس : رحلة الاندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر الطبعـــــــــة الاولى ١٩٦٣ ، ص ١٣٢.

٣- : انظر روايات الفتح الاسلامى للأندلس فى نفح الطيب جـ ١ ٢١٩ وما بعدها ، وكذلك كتابى الفتح الاسلامى ، مطبعة سعيد رأفت بالقاهرة عام ١٩٨٥ ص ١٠٨ وما بعدها .

٤ - ابن عذارى : البيان المغرب ، طبعة دار الثقافة ببيروت جـ١ ص ٢

٥ عبد المجيد تعنى : الاسلام فى طليطلة ،طبعة دار النهضة العربية . د . ت ص ١٩

٦ - ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ص ٩ والمقرى : فتح الطيب جـ١ ص ٢٤٩ وكذلك الفتح الإسلامى للأندلس ص ١٢٤ .

٧ - ابن القوطية تاريخ الاندلس ، ص ٣٥

٨ ـ انظر تفاصيل ذلك فى كتابى " الفتح الاسلامى للأندلس ص ١٣٢ ومابعدها .

٩ - المقري : نفح الطيب جـ١ ص ٢٥٧ .

١٠ ـ نفس المصدر جـ١ ص ٢٥٧

١١ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم . ص ٩٥ . وليس لذلك أية إشارة فى مصادرنا الاسلامية اللهم الا ان موسى قد ضم اليهود الى خامية المدينة بعد ذلك . أنظر اخبار مجموعة ص ٧ ، والنفح جـ١ ص ٢٦٩ .

١٢ - اخبار مجموعة ص ٧ نفح الطيب جـ١ ص ٢٦٩ .

١٣ - اخبار مجموعة ص ١٦ . ويقول المقري : وكانت ايضاً دار مملكة لبعض ملوك الاندلس فى سالف الدهر ذات عز ومنعة ، وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جليلة القدر فائقة الوصف ، فحاصرها ايضاً ، وكان من أهلها منعة شديدة وبأس عظيـم (النفح جـ ١ ص ٢٧٠)

١٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص : ٩٥ - ٩٦ .

١٥ - المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٧١ ،

١٦ - حسين مؤنس فى فجر الاندلس ، طبعة القاهرة ١٩٥٩ م ص ٢٩٩ .

١٧ - محمد عبد الحميد عيسي : تاريخ التعليم فى الاندلس ، دار الفكر العربى القاهرة ١٩٨٢ ص ١٧٠

١٨ - الخشنى : تاريخ قضاة قرطبة ، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة ١٩٦٦ ص ٦١ ، والنباهى : تاريخ قضاة الاندلس ، طبعة بيروت د . ت ص ٥٤

١٩ - حسين مؤنس : رحلة الاندلس ص ٤٠٣

٢٠ - Diccionario ilustrado de la lengua Espanoal Enciclopedia Uni-versided Sopina Tomo 2 - P.2054

٢١ - مصطفى الشكعة : المغرب والاندلس ، دار يالكتاب اللبنانى بالقاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٨٧ ص ٤١ .

بنو مروان فى ماردة وبطليوس
دراسة نقدية للتاريخ الاندلسى

Los Benimeruam en Mérida y Badajoz
Estudias Criticos de Historia a'rabe Espanola .

Madrid 1917

بقلم فرانثيسكو قوديرة

عضو مجمعى اللغة والتاريخ باسبانيا

Francisco Codera

De les Reales Academias Espanola

. y de la Historia

بنو مروان فى ماردة وبطليوس

مقدمة

بدأت فحصا متأنيا لاوراقى وملاحظاتى التى سبق أن دونتها وذلك بناء على رغبة صديق كريم هو الدكتور ادوارد سافدرا ، الذى رجانى أن أقدم لأحد أصدقائه كل ما يتعلق بمنطقة بطليوس وابن مروان الجليقى ، حيث أن صديقه هذا يعمل على إصدار كتاب تاريخى عن مدينة بطليوس .

جمعت كل ما رأيته مناسبا لهذا الكتاب ، وسطرت عده صفحات رأيت فيها الكفاية للغرض المطلوب ، ونويت ارسال ذلك كله إلى الصديق المشار إليه . لكننى حين قرأت ذلك كله على صديقى الدكتور سافدرا رأى فضيلته أنه سيكون من الصعب على أى شخص غير متخصص فى الدراسات العربية الاستفادة مما أعددته وأرجع ذلك إلى التعقيدات الكثيرة فى هذه المعلومات ، وما بها من معلومات متضاربة وما يحيط بالكثير من المعلومات من شكوك وارتياب ، وقلة الوقائع المؤكدة التى تمكننا من فهم سير الأحداث فى هذه المنطقة ومن ثم دعانى صديقى الدكتور سافدرا إلى كتابة مقالة خاصة ونشرها متضمنة تلك التفاصيل والمعلومات التى اتيح إلى جمعها ، وبالتالى يمكن لصديقه بعد ذلك الاستفادة من هذه المقالة .

وكان على أن أعود مرة ثانية لمراجعة بطاقات بحثى ، وتوسعت فيها ، وقمت بتغيير العنوان أيضا ليشتمل على أحداث مدينة ماردة . وبعد تعمقى فى العمل وجدت أنه لا مناص من الاشارة إلى كل الأحداث الهامة والمثيرة المتعلقة بغرب الأندلس عامة والتى أشار إليها المؤرخون المسلمون ، ومن هنا كان على تصحيح وزيادة ايضاح ما كان لدى من بيانات مسجلة .

ولولا الرغبة الملحة فى أن يرى هذا العمل النور سريعا لكى يمكن الاستفادة منه فى إعداد تاريخ بطليوس والذى كان السبب الأساسى الذى حركنى لكتابة هذا المقال لتأخر ظهورة مدة طويلة ذلك بسسبب كثرة التعقيدات والنقاط الغامضة التى كان على أن أوضحها ولم يكن ذلك عملا صعبا فحسب لكنه كان يعنى أن هذا المقال لن يرى منشورا قبل مضى وقت طويل جدا لان مشاغلى واهتماماتى الحالية تضطرنى أن أكون بعيدا عن كتبى ومصادرى العربية وأن أظل كذلك لعدة شهور قادمة على الأقل .

فرانثيسكو قوديرة

مـــاردة :

سجل التاريخ لهذه المدينة إنها صمدت صمودا شديدا فى مواجهة قادة الفتح الاسلامى للاندلس ، وإنها وأن استسلمت للأمير موسى بن نصير إلا أن ذلك لمن يكن إلا بعد مقاومة كبيرة وإن لم تصل فى مقاومتها إلىٰ ذروة عالية ولقد سجل التاريخ إيضا أن هذه المدينة هى من أكثر مدن الاندلس تمردا وعصيانا وخروجا على أمراء بنى أمية الاندلسيين ، ولعلها فى هذا المضمار تنافس مدينتى طليطلة وسرقسطة وإذا كانت ماردة لا تصل إلى مرتبتهما فى مجال الثورة والتمرد إلا أنها ولا شك تشترك معهما فى كونهم أكثر مدن الاندلس تمردا وعنادا وثورة ضد بنى أمية .

لقد مرت بلاد الاندلس بفترة تاريخية عصيبة خلال النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، بل وأمتد ذلك حتى نهاية العقد الاول من القرن الرابع الهجرى حفلت خلالها بالثورات وكانت هناك ثورة عمرو بن حفصون وغيرهم من الثوار والخارجين بعضهم ممن تحالف معهم ، وبعضهم تمرد لحاسبه الخاص حتى أصبح سلطان بنى أمية فى الاندلس على شفا الهاوية وكادت ان تعصف به رياح هذه الثورات تماما وكان لثوار غرب الاندلس فى هذا المجال دور بارز وإن لم يكن بينهم وبين ابن حفضون أى تحالف أو اتفاق على الوصول بحكم بنى أمية إلى هذه الحالة المتردية .

خلال هذه الحقبة المتوترة ، وإبان تلك الفترة الزمنية الطويلة كان المحرك الاساسى للأحداث فى ماردة أولا وفى بطليوس بعد ذلك واحدة من العائلات التى لا نملك الكثير من المعلومات عن أصلها أو نشأتها على الرغم من شهرة بعض افرادها شهرة كبيرة . حالة واحدة فقط هى التى نملك بيانات تفصيلية نوعا ما وهى متعلقة باحد ابناء هذه الاسرة اسمته المصادر العربية د. (ابن مروان الجليقى) ولا شك ان المصادر قد اسمته بذلك الاسم لعلاقته

الحميمة مع الفونسو الثالث الملقب (بالفونسو الكبير) ، مع أنه قد سبق لأحد المؤرخين أن أشار إلى أسم لأحد الافراد (بابن مروان الجليقى) وذلك ضمن فترة تاريخية سابقة لذلك بمدة طويلة ضمن زعماء مدينة ماردة فإننا لكى نتمكن من دراسة تاريخ هذه الاسرة ولكى نستطيع – ما أمكن – ترتيب أمراء بنى مروان والشعوب التى كان لها علاقة بها فإن علينا ان نجمع على بساط واحد كل البيانات والحقائق المتعلقة بغرب الاندلس ليس على مدار القرن الثالث الهجرى كله وحسب ولكن يجب ان يشمل ذلك أيضا السنوات الأولى من القرن الرابع الهجرى أى من عام ٢٠٠ هـ إلى ٣١٧ هـ (١٥٨ – ٩٢٩م) وسيكون إعتمادنا فى ذلك على ما يمكن الحصول عليه من المصادر والمدونات العربية .

وحتى أكون واضحا ومازلنا فى بداية الحديث ولكى لا يتعلق القارئ بوهم خادع أو لكى لا يتعلق بأمل كاذب فى الحصول على معلومات وافية جدا أو حتى على الأقل فى تسلسل طبيعى متواصل حول احداث منطقة غرب الاندلس خلال هذه الحقبة فإننى أوكد باننى ساقدم فقط المعلومات المتفرقة التى أمكننى الحصول عليها فقط فإنه ليس من واجبنا هنا التصميم على الربط بين هذه الأحداث بل سنجد انفسنا فى كثير من الاحيان لا نجرؤ على ما هو أكثر من تقديم ترجمة للنصوص العربية التى بين أيدينا وعلينا أن نمضى فى ترتيب هذه الأوراق ترتيبا زمنيا ففى كتاب المؤرخ ابن سعيد معلومة غير مسجلة عند غيره من المؤرخين المسلمين يقول فيها (أنه فى ٢٠١ هـ) (٨١٦ م) نقض أهل ماردة عهدهم مع الحكم وصاروا بزعامة ابن مروان الجليقى (١) .

ويمكننا التشكيك فى هذه المعلومة لحد ما ، حيث لم نجد فى أى مكان أخر أى أشارة إلى ثورة ماردة هذه أو أى معلومة عن هذا الذى يسمى مروان الجليقى ، ويمكننا ان نعتقد ان هذه المعلومة أنما تشير إلى ابن مروان التى سنتحدث عنه فيما بعد ولكن بما انه واضح ومحدود ، ليس لدينا من المعلومات ما ينقضه ، فانه يمكننا قبول النص ولو كان من باب

الاحتمال والترجيح والقول بان (مروان هذا ، إن لم يوجد خطأ فى الاسم يمكن ان تنتسب إليه اسرة) (بنو مروان) .

كما اننا وجدنا رواية عند ابن الاثير لم يروها غيره كذلك عند الحديث عن عام ٢٠٣ هـ - ٨١٨ م ، حيث يقول : وفيها ظهر بالاندلس رجل يعرف (بالولد) وخالف على صاحبها فسير إليه جيشا فحاصروه فى مدينة باجة وكان قد استولى عليها فضيقوا عليه فملكوها وقيد (٢) .

لا نملك بين ايدينا اية معلومات تؤكد أن ثورة ماردة عام ٢٠١ هـ قد قضى عليها الأمير الحكم ابن هشام أو ابنه عبد الرحمن بن الحكم المعروف بعبد الرحمن الثانى والذى خلف والده فى سدة الحكم عام ٢٠٦ هـ (٣) .

وفى عام ٢١٠ هـ يقول لنا ابن سعيد رواية أخرى غاية فى الأهمية والطرافة إذا ما صدقت كلماته ولعلها كذلك لانه ليس هناك مبرر لدحضها والنص على النحو التالى : وفى سنة عشر ومائتين (٨٢٥ م) أمر عبد الرحمن عامله جابر ابن مالك بان يتخذ من بيته منزلا للولاية ويحرك سفنه إلى حصار طليطلة وماردة وفتح حصون كثيرة من جليقة (٤) .

وحيث أننا لم نجد فى أى مصدر أخر أية إشارة إلى أحداث تلك السنة حتى يمكنا القيام بالمقارنة والربط بينها وبين ما يقوله ابن سعيد فانه لا يسعنا إلا ان نترك للقارئ الكريم فرصة تقييم هذا النص بالطريقة التى تبدو له أكثر ملائمة .

وفى عام ٢١١ هـ فقد أشير إلى رسالة أرسلها Ludvico Pio إلى أهل ماردة يحثهم فيها على الثورة ويعرض عليهم المساعدة والحماية وهناك بعض المؤرخين من يرى ان تلك الرسالة وجهت إلى أهل سرقسطة ولم تكن موجهة بأى حال إلى أهل ماردة ومع أننى سبق لى الحديث عن هذه الرسالة فى بحث أخر ناقشت فيه مسألة توجيه الرسالة إلى أهل ماردة لأننى لم أكن قد تبينت وجود مقاومة من أهل هذه المدينة ضد أمراء بنى أمية فى قرطبة والان فاننى

أميل الان إلى أنه فى حدود هذا التاريخ فقد بدأت بعض مظاهر الثورة والتمرد بـدأ من عـام ٢٠١ هـ وأنها قد أصبحت واضحـة جدا واصبح من الممكن قبـول بـأن Ludvico Pio قد أقام علاقات مع المتمردين (٤) . والثائرين لكى ينظموا صفوفهم فى وجه عدوهم المشترك .

وفى ٢١٣ هـ بدأت فى ماردة بعض الحوادث المتتابعة زمنيا والتى ستتوالى فى الأعوام التالية ويفصلها لنا مؤرخون عرب ونصارى فإبن الأثير على الرغم من إلتزامه الصارم بالتسلسل الزمنى فى روايته للأحداث إلا أنه يحدثنا عن ثورة فى ماردة عام ٢١٣ هـ ثم يحدثنا عن مجموعة أخرى من الحملات وقعت فى أعوام أخرى متتالية فهو يقول (فيها قتل أهل ماردة من الأندلس عاملهم وسارت الفتنة عندهم فسير إليهم عبد الرحمن جيشا فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم فعاودوا الطاعة وأخذت رهائنهم وعاد الجيش بعد ان خربوا سور المدنية ثم أرسل عبد الرحمن إليهم بنقل حجارة السور إلى النهر لئلا يطمع اهلها فى عمارتهم فلما رأوا ذلك عادوا إلى العصيان وأسروا العامل عليهم وجددوا بناء السور وأتقنوه فلما دخلت سنة أربعة عشر سار عبد الرحمن صاحب الاندلس فى جيوشه إلى ماردة ومعه رهائن أهلها فلما بارزها راسله أهلها ، وأفتكوا رهائنهم بالعامل الذى أسروه وغيره . وحصرهم وأفسد بلدهم ثم رحل عنهم ثم سير إليها جيشا سنة سبعة عشر ومائتين فحاصروها وضيقوا عليها ودام الحصار ثم رحلوا عنها فلما دخلت سنة ثمان عشرة سير إليها جيشا ففتحها وفارقها أهل الشر والفساد وكان من أهلها أنسان اسمه محمود بن عبد الجبار الماردى فحصره عبد الرحمن بن الحكم فى جمع كثير من الجند فصدقوه القتال فهزموه وقتلوا كثيرا من رجاله ، وتبعتهم الخيل فى الجبل فافنوهم قتلا وأسرا وتشريداً ومضى محمود بن الجبار الماردى فى من سلم معه من اصحابه إلى (منت سالوط Mante Salud) فسير إليه عبد الرحمن جيشا سنة عشرين ومائتين فمضوا هاربين عنه إلى حقلب فى ربيع الآخر منها فأرسل سرية فى طلبهم فقاتلهم محمود فهزمهم وغنم ما معهم ومضوا لوجهتهم فلقيهم جمع من أصحاب عبد الرحمن مصادفة فقاتلوهم ثم كف بعضهم عن بعض وساروا

فلقيهم سرية أخرى فقاتلوهم فانهزمت السرية وغنم محمود ما فيها وسار حتى آتى مدينة " مينة " فهجم عليها وملكها وأخذ ما فيها من الدواب والطعام وفارقوها فوصلوا إلى بلاد المشركين فاستولوا على قلعة لهم فاقاموا بها خمسة أعوام وثلاثة أشهر فحصرهم ادفونس ملك الفرنج فملك الحصن وقتل محمود ومن معه وذلك فى سنة خمس وعشرون ومائتين فى رجب وأنصرف من فيها [٦] .

يقدم لنا ابن سعيد معلومة مثيرة حول موت محمود ابن عبد الجبار رغم انه لا يهتم كثيرا بحملاته فيقول عنه (فى سنة ٢٢٥ هـ مات محمود بن عبد الجبار البربرى الشجاع الثائر فى ماردة المقاتل ضد جنود الأمير عبد الرحمن مدة طويلة والذى حاز شهرة كبيرة لشجاعته كان قد هرب إلى أدفونس وطمع فى العمودة إلى طاعة الامير عبد الرحمن وكان يقيم فى قلعة بقشتالة ودخل فى حرب ضد الادفونش فجمح به حصانه فى إحدى المعارك فاصطدم به فى شجرة من البلوط فسقط ميتا وظل جسده مسجى على الأرض فترة طويلة يحيط به فرسان النصارى ولا يجرؤن على الاقتراب منه خشيه وهيبه أن يكون ذلك منه حيلة للإيقاع بهم [٧] .يستدل من ذلك النص - إذا كان المؤرخ فيما نقل - أن محمودا حاول العودة إلى طاعة الأمير عبد الرحمن الأموى ، أما اشارته إلى كونه بربريا فلعل مرجعه إلى الاهمية الكبرى التى تمتع بها البربر فى مدينة ماردة وإن لم نؤكد لنا المصادر الأخرى تلك الصفة فى نسب محمود بن عبد الجبار .

ولقد قدم لنا ابن خلدون والنويرى بعض المعلومات عن هذه الأحداث مع اختلافات بسيطة ، وإن أغفلا بعض التفاصيل وأهملا البعض الآخر ، ومما هو جيد بالذكر اغفال ابن خلدون لحملة سنة ثمان عشرة ومائتين حيث خلط بينها وبين حملة مائتين وعشرين من الهجرة .

ولقد أشار ابن عذارى إلى حملة ٢١٧ هـ لكنه خلط بينها وبين حملة العام التالى ، ولم يزد فى قوله على أكثر من الإشارة إلى أن ماردة حوصرت ، وأن الحصار قد اشتد عليها ، وهرب

منها كثيرون وقتل منهم كثير " (٨) .

أما صاحب كتاب أخبار مجموعة فقد أشار إلى هذه الأحداث وصاغها على النحو التالى :

" وغزا ماردة - يقصد الأمير عبد الرحمن الأوسط - سبعة أعوام ولاء ، فلما كان العام السابع ، وأشفى بهم على العطب ، نظر إلى جنده قد تعلقوا بشرفات السور وتغلبوا عليه ، وضعف أهل ماردة عن دفاعهم ، فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان ، وعجيج البكاء ، فأمر بالامساك عنهم - وقبض أهل العسكر عن قتالهم ، ثم دعا بوزرائه وقواده - وقال لهم : قد علمتم ما كان من تغلب حشمنا ورجالنا على هؤلاء الظلمة لأنفسهم ، ولم يكن رفعنا بارفعناه عنهم الا رقبة لله عز وجل فيهم ، وتخوفنا من قتل ولدانهم وأطفالهم ، ومن لا ذنب لهم ممن استكره على نفسه منهم ، ونحن نرى استجلاب النصر من حيث عودنا الله وعرفنا من العفو والصفح ، وقد عزمت على الانتقال عنهم ، فإن أبصروا قدر يدنا فى الابقاء عليهم ، ومراقبة الله فيهم وإلا كان الله من ورائهم محيطا ، وعلى الانتقام منهم قديرا ، فهو الذى أيدنا وقهرهم ، ونصرنا وكبتهم .

فلم ينتقل إلا محلة حتى أتتهم رسلهم بطاعته والالقاء إليه بأيديهم (٩).

يلاحظ على هذا النص انه لا يحدد تاريخا ، ولكن بما ان الثورة قد بدأت فى عام ٢١٣ هـ ، وأن المدينة قد استسلمت فى عام ٢٢٠ هـ على ما قال ابن خلدون فى موضع آخر فإن ذلك قد يعنى ان الأمير كان على رأس قواته بنفسه فى حصار المدينة ، ومن المحتمل ترك ماردة الذى اعقب تمردها عام ٢٠١ هـ والذى وصل إلينا بعض الاشارات عنه .

يشير كتاب المدونات النصرانية إلى وصول محمود بن عبد الجبار إلى جليقية Galecia ، وإن افترضوا استقباله بواسطة الملك الاسبانى الفونسو التقى Alfonso El Casto الذى تمرد عليه فيما بعد متحصنا فى قلعة القديسة كريستينا Santa Critina التى قدمها له

الملك الاسبانى لكى يقيم فيها (١٠) .

علم الملك الفونسو بتمرد محمود بن عبد الجبار فى قلعة القديسة كريستينا ، وأنه قد أخذ يعبث خرابا فى منطقة جليقية ، فهب يعد العدة لقتاله ، وجمع جيشا قويا ، اتجه به لمواجهة هذا التمرد وحاصره فى القلعة ، وسقط محمود بن عبد الجبار صريعا فى هذا القتال .

وكما ترى فان هؤلاء المؤرخين لا يقدمون تلك المعلومات الا بصورة غامضة وعامة ، وليس من بينهم الا Silense فهو الكاتب الذى يقدم لنا صورة تفصيلية ، فهو يفترض وصول محمود بن عبد الجبار إلى اشتوريس Asturia فى العام الثلاثين من حكم الملك الفونسو التقى أى عام ٨٢١ م الذى يقابل عام ٢٠٥ أو ٢٠٦ هـ ، ولا شك ان فى ذلك التاريخ خطأ لا يقل عن خمسة عشر عاما على الأقل ، ويضيف هذا المؤرخ قائلا ان محمودا ، بعد سبع سنوات ، قد تمرد على حاميه وملكه وانه قد جمع حوله جيشا كبيرا دمر به كافة انحاء منطقة جليقية ، وعلم بذلك الفونسو التقى فاسرع بجيشه إلى هناك مما أرعب محمود ، ورغم ثقته بنفسه وبجيشه ، وحتى لا يقع بين أيد رجال الجيش الملكى فقد لجأ هو ومن معه إلى قلعة عرفت باسم القديسة كريستينا Santa Cristina . حاصر الملك الفونسو القلعة بجيش ضخم قوامه عشرة آلاف وتمكن رجاله من تحطيم الأسوار وتسلقها ، قتل محمود فى لحظات القتال الأولى ، وحملت رأسه إلى الملك الفرنسو ، فى نفس اليوم . وعلى ما يقول المؤلف ، فإنه فى نفس اليوم وقعت مذبحة بشعة ضد هؤلاء المتمردين من الاسرائيلين ، كما قتل فى هذه المعركة خمسون الفا البرابرة" (١١) .

ولا شك ان الرقم مبالغ فيه جدا ، وعلى الرغم من أن نفس الرقم قد أورده المؤرخ سباستيان الشلمنقى Sebastion de Salamanca الا أن القارئ المحنك ، يمكنه - حسب معياره فى الحكم - ان يحذف صفرا أو صفرين أو ثلاثة أصفار من هذا الرقم .

وفى وثيقة نشرها الأب ريسكو El Podre Risco بان الملك الفونسو ذاته قد اشار إلى هذا

الأحداث كهدية إلى كنسية مدينة لوجو عام ٨٧٠ م ، ولقد صححها المحقق إلى عام ٨٣٢ م لكن هذا العام الميلادى يقابل فى التواريخ الهجرية سنة ٢١٦ أو ٢١٧ هـ ، ومن ثم فإن الوثيقة التى تشير إلى وفاة محمود تكون قد كتبت قبل وفاته بسبع أو ثمان سنوات مما يضفى على الأحداث مزيدا من الشك .

ماذا تفعل أمام هذا الطوفان المتناقض فى تحديد التواريخ الخاصة باحداث ثورة محمود ومقتله ، والتى يتناقض فيها المؤرخون المسلمون والنصارى على حد سواء ؟ وماذا نقبل منهم ؟

من الطبيعى أن القارئ لا يرى هناك أى شك فى ضرورة الأخذ برواية المؤرخين الاسبان المسيحيين حيث لا يكتفى بايراد نصوص لمؤرخ معاصر فحسب بل أنه ايضا رجل قد شارك فى الاحداث بنفسه على ما توحيه لنا للوهلة الأولى الوثيقة الخاصة بكنيسة لوجو Iglesia de Lugo ، ولن إذا ما تمعنا الأمر فى هذه الويثقة المفترضة من الملك الفونسو إلى هذه الكنيسة ، وقد سبق لنا ان شككنا فى صحتها ، فإننا نتبين مدى وهنها وضعفها إن لم نصل إلى القول المؤكد بزيفها وعدم صحتها .

من ناحية أخرى فإن روايات المؤرخين المسلمين الذين سبقت الإشارة إليهم تتناول بكل تفصيل زمن الاحداث التى ارتبط بها محمود بن عبد الجبار ، وتأتى هذه الاخبار – فى معظمها – منسقة ولا تبدو احداها غير مقبولة بصورة واضحة على ما هو الحال عليه فى روايات المؤرخين اللاتين تأتى الوثائق التى نعتبرها مصادر معرفتنا بتاريخ محمود ووعلاقاته بالملك الفونسو فى مدونات المؤرخين :

Sebastion de Salamanca , el Albeldense g el Silense.

ولتوقف أمام مدونة " البلدى " El Albeldense ، أقل هؤلاء الثلاثة عرضا لنحلل بعض ما قاله من أخبار أو معلومات . فنلاحظ أنه لا يسجل تاريخا معينا ، وجاءت روايته مختصرة على النحو التالى ، هرب محمود من ملك قرطبة ، ولجأ إلى الملك الفونسو ملك اشتوريس ،

الذى استقبله استقبالا كريما ، ثم بعد فترة ثار محمود فى منطقة جليقية ، واحتمى فى قلعة القديسة كريستينا S. Cristina حيث حاصره الملك وقتله واستولى على القلعة بكل ما كان فيها .

أما المؤرخ المعروف باسم سبستيان الشلمنقى Sebastion de Salamanca ، فإنه يقدم لنا معلومات أكثر تفصيلا ، فهو يحدد لنا تاريخ وصول محمود إلى أشتوريس ، وإن جاء ذلك بطريقة غير مباشرة ، وإنما ضمن إشارته إلى وقائع وأحداث فى العام الثلاثين من حكم الفونسو (٨٢١ م أو ٢٠٥ أو ٢٠٦ هـ) وإن هذه محمودا ، وقد كان يطلق عليه Mahzemuth وقد وصل إلى أشتوريس بعد الاحداث مباشرة ، وإنه عاش هناك حوالى سبع سنوات ، وفى العام الثامن جمع حوله جيشا من المسلمين ، وقام بسرقة ونهب جيرانه ، واخيرا لجأ إلى قلعة كريستينا ، حيث حاصره هناك الملك الفونسو قادما بجيشه من مدينة أوفيدو oviedo . وقتل محمود فى ساعات اللقاء الأولى ، وهوجمت القلعة ، وذبح بهاخمسون الفا من المسلمين الذين هبوا من الاندلس لمساعدة الثائرين .

يتبين لنا كيف أخذ هذان المؤرخان المشار إليهما رواياتهما التاريخية من الحكايات الشعبية الشفوية مع شئ من التباين ، فالثانى منهما قد قبل كل شئ حتى ما لا يصدق ، فنجده يصدق – حتى ولو قال العامه بذلك – أنه تجمع فى قلعة القديسة كريستينا خمسون الف مسلم وأنهم استسلموا بسهولة للذبح أمام جيش الملك الفونسو التقى وهو جيش – كما نعرف قد جمع على عجل ، ومن المؤكد أنه لم يصل ابدا إلى مثل هذا العدد من الاعداء.

أما المؤرخ صاحب المدونة المعروفة باسم " دى سيلوس" La Cronica de Silos ، وهو متأخر عن معاصرة تلك الاحداث بحوالى قرنين من الزمان ، فقد اعطانا تفصيلات أكثر وأوسع من سابقيه ، فقد حدد تاريخ وصول محمود إلى بلاط الملك الفونسو فى العام الثلاثين من حكم هذا الملك وأنه – أى محمود – بعد سبع سنوات من إقامته فى جليقية تكبر وعلا

وتمرد على مليكه ومملكته ، ثم أخذ لا بسرقة جيرانه فحسب – وأنما بتدمير وتخريب كل اقليم جليقية ، مستخدما فى ذلك قوات قوية من المسلمين امكنه تجميعها ، ومع ثقته الكاملة فى عدته وعتاده وعدده ، فإنه حين علم بوصول الملك إلى اقليم جليقية أخذته الرعدة من الجيش الملكى ، وإنسحب إلى أحدى القلاع حيث لقى مصرعه فى ساعات اللقاء الأولى ، وقتل فى نفس المعركة خمسون ألفا من البربر ، دون أن يحدد إذا ما كان موت هؤلاء داخل القلعة أم خارجها .

من بين هؤلاء المؤرخين المسيحيين الثلاثة نجد أن أحدثهم هو الذى يحدد تاريخا لوصول محمود جليقية ، ومن ثم ايضا هو الذى يحدد لنا تاريخ وفاته ، ويتفق هذا التاريخ مع ما حدده المؤرخون المسلمون لثورة مدينة ماردة والتى استمرت حسب معظم الترجيحات من سبع إلى تسع سنوات ، وفى نهايتها لجأ الثائر إلى مملكة اشتوريس .

لم يعرف المؤرخون النصارى أى شئ عن حياة محمود السابقة سوى أنه كان من ماردة ، وأنه هرب من الأمير عبد الرحمن ، أمير قرطبة ، وأن محمودا قد سبق له الثورة بمدينة ماردة . ومن كلمات مدونة Silos فإننا قد نلمح بعض الاشارات الى الهزائم التى أوقعها محمود بقوات الامير عن الجبل المعروف Monte Salud حين انسحابه إلى أراضى النصارى ، كما أننا نلمح أنه كانت لدى المؤرخ فكرة غامضة ومشوشة عن نوع من الاتفاق مع الثائر الذى رغب فى العودة إلى طاعة الامير القرطبى ، ومن هنا نفترض انه قد تلقى بعض المساعدات .

تبين لنا من هذا العرض كيف ان المؤرخين المسلمين قد قدموا معلومات اكثر تفصيلا عن هذه الاحداث ، ومقارنتها لرواياتهم تساعدنا فى توضيح مسلسل الاحداث بصورة طيبة على النحو التالى : لقد شارك محمود بصورة ايجابية فى ثورة ماردة ، وحينما استسلمت هذه المدينة انسحب محمود مع انصاره ، وشقوا لهم طريقا عبر اراضى الامير القرطبى حتى امكنهم الوصول إلى جليقية حيث استقبله الملك الفونسو وعقد معه سلاما وتمكن محمود مع

ذلك من الاستيلاء على احدى القلاع . وحتى ذلك الحين لا نجد عند المؤرخين النصارى أى علم بتاريخ محمود السابق سوى أنه ثار على الأمير عبد الرحمن ، وهى معلومة إلى حد ما صادقة ، لانه كان لمحمود دوره البارز فى ثورة ماردة ، وأنه كان واحدا من قواد هذه المدينة الرئيسسسن وان لم يصل إلى كونه قائد ثورة هذه المدينة .

أما ما أخذ به المؤلف السيلينسى Silanse من تحديد لا يتفق مع ما قال به المؤرخون المسلمون فاننا نرجعه إلى كونه مؤرخا متأخرا يبعد كثيرا عن زمن الحادث ، أما الآخران منهما فهما أكثر قدما بل ربما كانا معاصرين تقريبا ومع ذلك فانهما لم يحددا تاريخا فان ذلك لا يعنى تعارضا فيما قال به المؤرخون المسلمون ، لأن قيام سبستيان الشلمنقى ، وصاحب مدونة السيلينسى بتصديق الخبر القائل بمقتل خمسين من الفا المسلمين فى قلعة القديسة كريستينا لدليل بين على عدم دقتهما ، ويبعث على الشك الكبير فى رواياتها .

لقد اتضح الآن بعد تلك الدراسة ، أن موت محمود قد وقع خلال عام ٢٢٥ هـ ٨٣٩ / ٨٤٠ م ومن ثم لم يعد هناك مجال للحديث عن تلك الوثيقة التى تجعل موته فى عام ٨٣٢ م والتى زعم مؤلفها أن الفونسو قد قص هذه الاخبار فى كنيسة لوجو Lugo أو على الاقل فلنقل بوجود خطأ فى تحديد التاريخ فى هذه الوثيقة .

ولنعد الآن إلى الأحداث التى جرت بعد عام ٢١٣ هـ والتى من خلالها ظهرت شخصية محمود .

يشير ابن الاثير ، وكذلك النويرى الى احداث عام ٢١٤ هـ فيقول " وفيها سار عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس الى مدينة باجة وكانت عاصية عليه من حين فتنة منصور إلى الآن فملكها عنوة "[11] وحيث أننا لم نجد اسم هذا الثائر الذى أشار اليه ابن الاثير باسم " منصور مسجلاً فى أى مدونة تاريخية اخرى غير ابن الاثير فاننا لم نستطع أن نحدد بداية تلك الثورة التى قامت فى باجة والتى اخمدها عبد الرحمن عام ٢١٤ هـ .

وتأتى سنة ٢٢٠ هـ ، بعد استسلام مدينة ماردة وهروب محمود منها فمن المؤكد ان بعض

الاحداث الخطيرة قد وقعت فى هذه المدينة لأننا نجد الامير عبد الرحمنم الاوسط وقد خرج على رأس جيشه عازما على طليطلة " ولي أبا الشماخ قلعة رباح ، وأبقى عنده خيلاً كثيفاً ورجلاً كثيرة لمناهضة طليطلة ، وتقدم هو إلى كور الغرب ، وكان سليمان من مرثين ، وقد تحيل عليه يحيى الماردى فأخرجه من ماردة ، فكان فى قنن الجبال حيناً ، فحل عليه الامير فى هذه الغزاة ، وحاصره حتى ضاق سليمان بن مرثين فى الحصن فخرج ليلاً ، فبينما هو يمشى ، إذ وافق صخرة ملساء على وجه الأرض ، فزلق به الفرس ، فسقط ومات ، ووجده رجل ، فاجتز رأسه ، وادعى قتله، ثم عرف امره[١٢] وليس فى استطاعتى أيضاً تقديم اية ايضحات حول هذه الاحداث لعدم وجود اية معلومات عن هذين الشخصين فى المصادر التاريخية الا عند ابن عذارى[١٣] .

وعن سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م يحدثنا ابن عذارى قائلاً ، وفى سنة ٢٢٣ هـ أغزى الامير عبد الرحمن من الحكم اخاه الوليد من الحكم الى جليقية ، فدخل من باب الغرب مع قطيع من العسكر ، فدوخها ، وكانت له فتوحات كثيرة[١٤] .

ونصل الأن الى العام ٢٥١ هـ (٢/٢ / ٨٦٥ - ٢١ / ١ / ٨٦٦ م) دون ان نلتقى بأية معلومات عن هذا الاقليم اللهم الا بعض الترجمات لرجال الادب والتى قد لا تعنينا الآن في هذا المجال .

يمثل عبد الرحمن بن مروان بن يونس المعروف بابن الجليقى من أهل ماردة وامام الثائرين ـ كما يسميه ابن حيان ـ الشخصية البارزة فى ثورات المولدين والبربر ضد سيادة قرطبة فى أقليم غرب الاندلس ، وعنه ، وعن اسرته كتبت كتب كثيرة ، لكنه للأسف الشديد ، فإن هذه الكتب قد فقدت ولم تصل إلينا ، ولم يتبق منها الا فقرات متفرقة مما يجعل من الصعب ان أقدم هنا تحليلاً وافياً عن احداثه وسأكتفى بترجمة مابقى من نصوص حول هذا الرجل .

أورد الصنبى ترجمة ابن مروان تحت رقم ١٠٤٥ دون ان يحدثنا بتفصيلات كثيرة وإنما اكتفى بقوله : عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، منسوب الى بلده ، كان من الخوارج فى أيام بنى أمية بالاندلس ، جمعت فى يأخباره كتب هناك ، ذكره ابو محمد على بن احمد [١٥].

وجاءت اخبار بن مروان الجليقى عند ابن عذارى عند حديثه عن جملة الثوار ببلاد الأندلس فى أيام الامير عبد الله الخارجين عن الجماعة ، المضرمين لنار الفتنة فقال ، ومنهم عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى ، اقتعد مدينتي بطليوس وماردة ، ففارق الجماعة وجاور اهل الشرك ، ووألاهم على اهي القبلة (١٦).

أما بن القوطية فقد تحدث عن ابن مروان حين حديثه عن الأيام الاخيرة للأمير محمد عبد الرحمن فقال: فاضطربت الاحوال فى آخر أيامه ، فأول فتنة حدثت عليه خروج عبد الرحمن بن مروان المعروف ، بالجليقى من قرطبة إلى الغرب ، وكان فى جملة الحشم ، وكان اصله من جهة المغرب ، وكان من المولدين وكان بجانب الغرب ايضاً رجل من المولدين يعرف بسعدون السرنباقى ، وكان المولدون يغلون فيه فيقولون : إنما هو السرور الباقى .

وكان لابن مروان من العقل والكيد والبصر بالشر بحيث لا متقدم له فيه فاجتمع بالسرنباقى ، وتضافرا على الشرك واحدثا فى الاسلام احداثاً عظيمة يطول ذكرها ، وصارا فى القفز بين الاسلام والشرك (١٧).

وقال ابن حيان (نقلاً عن ابن القوطية) " اضطربت الاحوال فى آخر ايام الامير محمد ، ونشأت الفرقة ، ونجم أهل الشقاق بكل جهة ، فكان أول فتق حدث عليه فتق عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى ، وخروجه عاصياً من مكانه فى مصاف السلطان بقرطبة الى جهة بلده بالغرب قاطعاً للسبيل ، خالعاً للطاعة وأصله من مولدى الغرب الغالبين فى رأى التغوية ، وكان ذا بأس شديد ، وكيد عظيم الى دهاء ومكر وبصر بالشر لا يلحقه فيهن أحد من نظرائه ، وقد كان فى جملة الحشم فى ديوان السلطان (١٨) .

ولقد عرض المؤرخ الكبير دوزى بمهارة فائقة لاخبار الغارات والغزوات والحوادث التى قام بها بن مروان ولكن دون ان يكون لديه سند مؤكد من قبل المؤرخين المسلمين ، حتي انه نسب الى الرجل دوراً ـ على مأرى شخصياً ـ لم يكن يحلم بالقيام به ، يقول دوزى عن ابن مروان الجليقى : لقد جمع ابن مروان جيشه فرقة بعد فرقة من الاوباش والمرتدين وغيرهم ، وأنه بشر بينهم بديانة جديدة هي مزيج وسط بين الاسلام والمسيحية ، وعقد تحالفاً مع الفونسو الثالث

ملك ليون ، الحليف الطبيعي لكل متمرد وثائر على حكومة قرطبة .

أنني اعتقد ان الكلمات التى استخلص دوزى من ترجمتها ان ابن مروان قد بشر بديانة جديدة تجمع بين الاسلام والنصرانية قد وردت عند بن حيان قال عنه " انه هجر دار التوحيد ، وجاور بلاد الشرك (١٩) . ، وفى ماقبلها يعود بن حيان ايضاً حين حديثه عن الرجل بعد ان تصالح مع الامير بانه ابتعد عفن دار الكفر والتحف بالطاعة .

ولقد استخدم ابن عذارى نفس الكلمات تقريباً التى اشرنا اليها وسبق لنا ان بينا ان ابن القوطية لم يكن دقيقاً فى نصنا الذى اشرنا اليه ، ونحن فى النهاية نعتقد بعدم وجود اساس كاف لكى نؤكد ذلك ، على الاقل فيما قال به دوزى بان ابن مروان حاول ان ينشر ديانة جديدة بين اتباعه .

وفى مطالعتنا لتاريخ ابن خلدون فإننا نجد أقدم الروايات عن ابن مروان الجليقى ويرجعها ابن خلدون الى عام ٢٥١ هـ فهو يقول : ثم غزا الامير محمد بنفسه سنة احدى وخمسين بلاد الجلالقة ، فأثخن وخرب ، وانتقض عليه عبد الرحمن بن مروان الجليقى فيمن معه من المولدين ، وساروا إلى التخم ، ووصل يده بأذفونش ملك جليقية " (٢٠) .

واحتراماً لذلك المؤرخ العظيم بن خلدون ، فعلينا ان لا نرجع اليه هذا الخطأ الوارد فى النص المطبوع ، وفى اعتقادى اننا يجب ان نتناوله على انه خطأ مطبعى او خطأ من الناسخ حيث ان المؤرخ من تناوله احداثاً اخرى فى نفس العام لم يكرر كتابة التاريخ كما حدث فى حالتنا هذه ، هذا اذا افترضنا يعدم وجود خطأ فى هذه النسخة .

عام ٢٥٤ هـ / ٨٦٨م .

يتحدث بن عذارى عن هذا العام قائلاً : وفى سنة ٢٥٤ خرج الامير محمد إلى امارة ماردة وأظهر أن استعداده لطليطلة ، وكان بماردة قوم من المنتزين ، فلما فصل من قرطبة ، وقدم بالمحلات الى طريق طليطلة ، نكب إلى ماردة ، فاحتل بهم ، وهم فى امن وعلى غفلة ، فتحصنوا في المدينة أياماً ثم ناهض القنطرة ، فوقع القتال ، واشتد الحرب حتى غلبوا عليها

فامر الامير بتخريب رجل منها ، وكان ذلك سبباً لاذعان اهل ماردة ، فطاعوا على ان يخرج فرسانهم ، وهم يومئذ عبد الرحمن بن مروان ، وابن شاكر ، ومكحول ، وغير هؤلاء ، وكانوا أهل بأس ونجدة وبسالة مشهورة . فخرج المذكورون ومن هو مثلهم الى قرطبة بعيالهم وذراريهم وولى عليها سعيد بن عباس القرشى ، وأمر بهدم سورها ، ولم يتبق إلا قصبتها لمن يرد من العمال (٢١)".

ولقد أعطانا بن الاثير مزيداً من التفاصيل عند حديثه عن هذه الحملة وأوردها على النحو التالي: " وفيها عاود أهل ماردة من بلاد الاندلس الخلاف على محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلسى ، وسبب ذلك انهم خالفوا قديماً على ابيه ، فظفر بهم وتفرق كثير من اهلها ، فلما كان الان تجمع اليها من كان فارقها ، فعادوا الى الخلاف والعصيان ، فسار محمد اليهم وحصرهم ، وضيق عليهم ، فانقادوا الى التسليم والطاعة ، فنقلهم ومواليهم إلى قرطبة وهدم سور ماردة ، وحصن بها الموضع الذى كان يسكنه العمال دون غيرهم . (٢١)"

اما الاسقف روديجو الطليطلى Rodrigo de Tolido فقد أشار الى هذه الاحداث ضمن حديثه عن حوادث عام ٢٤٨ هـ وهو تاريخ لا يمكننا القبول به (٢٢) .

عام ٢٥٥ هـ / ٨٦٩م .

إذا طالعنا ابن خلدون وجدنا عنواناً بارزاً يقول : أخبار الثوار وأولهم ابن مروان بطليوس واشبونه " وتحت هذا العنوان يكرر نفس الكلمات السابق الاشارة اليها تقريباً فى ص ١٣١ والتى جعل خروج الامير محمد الي ماردة فى عام ٢٥١ هـ وقلنا بخطأ هذا التاريخ ، فهنا يعود ابن خلدون ليبين ان التاريخ هو عام ٢٥٥ هـ ، ثم ينتقل بعد ذلك مباشرة الى الحديث عن أحداث وقعت عام ٢٦٣ هـ على ماسنبين فيما يلى من الصفحات (٢٣).

عام ٢٦١ هـ / ٨٧٥م .

يروى لنا ابن الاثير عند حديثه عن هذه السنة " وفيها هرب بن مروان الجليقى من قرطبة ، فقصد قلعة الحنش فملكها وامتنع بها ، فسار اليه محمد صاحب الاندلسى فحصره ثلاثة

اشهر ، فضاق به الامر حتى أكل دوابه فطلب الأمان فأمنه محمد فسار به الى مدينة بطليوس(٢٤).

ولقد أكد بن عذارى هذه الرواية وان أضاف اليها بعض التفاصيل وروايته جاءت على النحو التالي " وفي سنة ٢٦١ هرب بن مروان الجليقي من قرطبة مع رجال ماردة المنزلين منها ، واستقر بقلعة الحنش فغزاه الأمير محمد ، وحاصره حصاراً قطعة وضيق عليه مدة من ثلاثة اشهر الجأه فيها إلى أكل الدواب ، وقطع عنه الماء ، ورماه بالمجانيق حتى أذعن ، وطلب الأمان وشكى ثقل الظهر ، وضيق الحال ، فأباح له الامير محمد الرحيل الى بطليوس والحلول بها ، وهي يومئذ قرية ، فخرج اليها وقفل عنه (٢٥).

- يقول ابن سعيد نقلاً عن ابن حيان " ذكر بن حيان ان الذى احدث هذه المدينة (بطليموس) وكان أول بان لها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي ، وكان ابتداء حملاته على سلاطين بنى أمية سنة أحدى وستين ومايتين فوارثها ولده(٢٦) .

عام ٢٦٢ هـ / (اكتوبر ٨٧٥ الى سبتمبر ٨٧٦ م) .

وعن هذه السنة يروى ابن الاثير قائلاً : وفيها سير محمد صاحب الاندلس ابنه المنذر فى جيش الى الجليقى ، وكان بمدينة بطليوس ، فلما سمع خبرهم فارقها ودخل حصن كركر فحوصر فيه ، وكثر القتل فى أصحابه في شوال . (٢٧).

أما بن عذارى فقد روى أحداث هذه الحملة بتفصيل اوسع فيقول : وفى سنة ٢٦٢ خرج المنذر بن الأمير محمد إلى بن مروان ، وكان القائد هاشم بن عبد العزيز ، وهو الذى كان سبب هروب بن مروان ، لأنه قال له من بين الوزراء " الكلب خير منك " وأمر بصفع قفاه ، واستبلغ فى خزيه ، فهرب مع أصحابه ، وذلك فى خبر طويل(٢٨) . ، وكان ابن مروان قد ابتنى بطليوس حصناً ، وجعله موطناً ، وأدخل فيه أهل ماردة وغيرهم من أهل المكانفة له على الشر .فلما انتهى الى بن مروان تحرك العسكر اليه ، تنقل عن بطليوس وحل بحصن كركر Alburquerque واجتمع أهل ماردة اليه فيه ، فنزل العسكر بمقربة من الحصن ، وكان

هاشم قد بعث إلى منت شلوط Mont salud خيلاً ورجلاً لضبطه ، وكان سعدون الرماری قد دخل الى بلاد الشرك مستمداً فجاء بمدد من المشركين ، وأظهر انه فی قلة ، فكتب بذلك عامل حصن منت شلوط إلى هاشم فرأى هاشم أن ذلك فرصة فی سعدون ، فبادر بالخروج من العسكر على غير تعبئة ولا أهمية فی خيل قليل ، وأفحص هاشم وحاوز الوعر ، وابعد عن العسكر ، فأخذت المضايق عليه ، وناشبوه القتال ،. فأخذته جراح ، وقتل من أصحابه جماعة ، وأسر هاشم المذكور ، ولما اتصل خبر هاشم بالامير محمد وقع فی جانبه فقال :" هذا امر جناه على نفسه بطيشه وعجلته " ثم رد ولده عوضاً عنه وحصل هاشم اسيراً بيد بن مروان الذی صنعه فی أسره فی قرطبة ، فبره بن مروان وأكرمه وأحسن اليه ولم يعاقبه بما فعل معه(٢٩).

يروی بن الخطيب هذه الاحداث ولكن بتفصيلات أقل ، ومما يلفت النظر فی روايته تسميته بن مروان بمحمد بدلاً من عبد الرحمن كما نلاحظ انه يذكر لقب سعدون " المسرنباقی " بدلاً من " السرنباقی" على ما جاء عند غيره من المؤرخين .

تناول بن القوطية هذه الاحداث دون ان يحددلها تاريخاً ، كما اورد مزيداً من التفاصيل مثل قوله : وأسر هاشماً ، وقتل حوله من أشراف الموالی والعرب خمسون رجلاً ، ورفعاه إلى الفنش فافتدی منه بمائة الف وخمسين الفاً (٣٠). ولسوف تحدد سنة فداء هاشم من أسره فيما بعد .

وبعد ذلك يواصل ابن القوطية روايته عن الأحداث والتی أري انه من الصعب علينا التأكد منها وهی كما يلی : ثم ظهر بن مروان ظهوراً ، صار بذلك رئيس المولدين في الغرب ، وصار السرنباقی تابعاً له ، وخرج بعد قفول العسكر عنه فی جيش عظيم فبلغ الى كورة اشبيلية ، وتوسط اعمالها ، وغنم حصن طلياطة بمن فيه ، ثم تقدم فشق كورة لبلة ، ثم دخل اكشونية وضبط بها جيلاً يقال له منت شاقر فجبل الغرب كله ، وأفسده ، فلما طال غم الامير محمد به وجع اليه أميناً فقال له : يا هذا ، قد طال غمنا بلك وغمك بنا ، عرفنا بمذهبك ، فقال له : مذهبی أن يباح لی البشرنل أبتنيها ، وأمدنها ، وأعمرها ، وأقيم الدعوة ، ولا تلزمنی جباية ،

ولا طاعة فى أمر ولا فى نهى ، والبشرنل هذه تقابل بطليوس وبينهما النهر .

فأجيب الى ان يبنى بطليوس دون النهر ليكون فى حزب الاسلام على ماشرطه ففعل وصفت طاعته ، إلى ان طمع هاشم فى أخذ الثأر فيه ، وقال للأمير محمد : إنما كان تعاصى امر ابن مروان علينا بأنه كان هو وأصحابه على ظهور خيولهم يتنقلون من موضع الى موضع ، وقد صار الساعة فى مدينة ودور وقصور وبساتين محيطة بها ، فنخرج اليه ، فإنى أرجو ان يظفرنا الله به ، ويخرج معي الولد عبد الله ، فقد كان لابن مروان اليه انحراف عند كونه بقرطبة ، فخرج الى اشبيلية ثم انتقل الى لبلة .

فلما بلغ ابن مروان الخبر ادرك الامر بعقله وذكائه ، فكتب إلى الامير محمد : بلغنى ان هاشماً خرج الى جهة الغرب ، ولست أشك انه قد أطمعه فى أخذ الثأر منى كونى فى حصن وغلق ، وبالله لئن جاز لبلة إلى لأضرمن بطليوس بالنار ، ثم أعود إلى حالى الأول معك فلما قرأ محمد كتابه أمر بصرف الولد ، وصرف هاشما من الطريق فانصرفا (٣١).

سنة ٢٦٣ هـ (٢٤ / ٩ / ٨٧٦ إلى ١٣ / ٩ / ٨٧٧ م)

يقول ابن عذارى : وفى سنة ٢٦٣ ، خرج المنذر بن الامير محمد ، وجعل طريقه على ماردة فلما انتهى ذلك الى بن مروان زال عن بطليوس ، واحتل بها قائد المنذر الوليد بن غانم فخرب ديارها ، وتقدم بن مروان الى بلاد العدو(٣٢) .

ويروى ابن خلدون عن نفس هذه الغزوة التى قام بها الأمير المنذر بن محمد ولكنه أضاف " وفى سنة ثلاث وستين أغزى الأمير محمد ابنه المنذر إلى دار الحرب وجعل طريقه على ماردة وكان بها ابن مروان الجليقى ، ومرت طائفة من عسكر المنذر بماردة فخرج عليهم ابن مروان ومعه جمع من المشركين استظفر بهم فقتل تلك الطائفة عن آخرهم (٣٣) "

ويضيف ابن الاثير بعض التفاصيل ذات الأهمية " وفيها – أى فى سنة ٢٦٣ – سير محمد صاحب الأندلس ابنه المنذر فى جيش كثير ، وجعل طريقه على ماردة ، فلما جاز ماردة إلى

أرض العدو تبعه تسعمائة فارس من العسكر فخرج عليهم جمع من المشركين قد استظهر فاقتتلوا قتالا كثيرا صبروا فيه وقتل من المشركين عدد كثير ، ثم استظهر ابن الجليقى ومن معه من المشركين على التسعمائة فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم و أكرمهم الله بالشهادة (٣٤) " .

سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٧/٩/١٣ إلى ٨٧٨/٩/٣ م) .

يشير ابن عذارى إلى أنه فى هذه السنة قد انطلق هاشم من الأسر (٣٥). وأشار إلى ذلك أيضا ابن الخطيب مع بعض التفصيلات الإدارية وبعض الإشارات إلى سجايا هشام .

وعن أسر هاشم بن عبد العزيز وفديته تحدثت أيضا بتفصيل جيد المصادر والمدونات النصرانية ، ومن هذه المدونات المدونة المعروفة باس Cronicon de SamPiro

حيث يقول أنه فى عهد الملك الفونسو الثالث سقط فى الأسر جنرال أندلسى وهو فى ذات الوقت وزير يسمى أبا خالد Abokalit ، ولقد حمل هذا الأسير إلى الملك وظل عنده إلى أن دفع مبلغ مائة ألف قطعة فى مقابل إطلاق سراحه .

مزيد من التفصيلات حول هذا الحادث نقرأه فى المدونة المعروفة باس المدونة البلدية Cronica Albeldense حيث تقول : أنه قدم إلى الملك فى مد ينة اوفيد Oviedo، وأنه قد تخلص من الأسر بعد أن قدم رهينتين أخوين أحدهما إبنه والآخر ابن شقيقه حتى دفع فدية إلى الملك مائة الف قطعة من الذهب .

ويبدوا لنا من نص المدونة البلدية أن أسر الوزير هاشم أو أبو خالد ، وليس فداؤه هو الذى كان فى حدود هذا التاريخ ، حيث تنص المدونة على أنه

Era 915 Consul Spaniae et mahomat Regis Consiliarius Abuhalit bello in fines Galleciae Capitur"

وإن كان من المؤكد أن هذا ليس دقيقا تماما

وفى نفس عام ٢٦٤ هـ توجهت حملة بقيادة البراء من مالك ودخلت إليها من باب قلنبرية إلى جليقية بحشود الغرب وتردد هنالك حتى أذهب نعيمهم (٣٦).

سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨/٩/٣ إلى ٨٧٩/٨/٢٣ م) .

تم فداء هاشم بن عبد العزيز من أسر الملك الفونسو ، أو من أسر ابن مروان على حد قول ابن خلدون (ص ٤ ، ص ١٣٣) وتم توقيع الصلح على شرط عودة ابن مروان للإقامة فى بطليوس ، وهو ما حدث بالفعل فى هذا العام ، ولقد قام ابن مروان باعادة تحصين المدينة وبناء اسوارها ، وعندئد عاد مرة ثانية إلى العصيان واعلن استقلاله بالمدينة ، وكان قد سبق أن تغيرت علاقاته مع الفونسو ، وأعلن الحرب عليه ، وغادر ابن مروان دار الحرب إلى مكان يسمى أنطانية Antena من أحواز مدينة ماردة وقام بتحصينها بعد أن كانت ركاما ، واستولى ابن مروان على كل الأراضى التى كانت تابعة لمنطقة " اليون Leon" وكذلك الأراضى التى كانت خاضعة لملكة جليقية Galiciaوضم ذلك كله إلى ملكه فى بطليوس حيث ضغط عليه الأمير عبد الله لينتقل إلى هناك .

ولقد كان مع ابن مروان فى دار الحرب سعدون السرنبيقى ، وهو رجل شجاع ومحارب عنيد ،وسبق له أن تمرد مع ابن مروان ، حينما استقر عبد الرحمن فى باجة Beja تم تمكن بعد ذلك من الاستيلاء على قلهرة واعلن استقلاله عن كلا الامبراطوريتين حتى انتهى الأمر بمقتله فى أحدى معاركه مع الملك الفونسو .

ولقد أورد ابن حيان بيانات أكثر تفصيلا عن السريناقى فقال : سعدون بن فتاح السرنباقى ، صاحب عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، ونظيره فى التمرد واللعنة والاجتراء على السلطان والخروج من الجماعة ، وكان من أبطال الرجال وفتاكهم ، وأولى المكر والدهاء والرجولة فيهم ، بفلوات أرضه وطرقها دليلا ماهرا داهية . انتزى على السلطان بحصن فقبروا

له ما بين وادى تاجة بمدينة قلنبرية ، جرت له خطوب عظيمة واسرته المجوس الخارجون بساحل الأندلس الغربى أيام الأمير محمد ففداه منهم بعض تجار اليهود يبتغى الربح معه فقارض اليهودى إلى أن هرب عنه وأخفر ذمته وأخسره ماله ، وداخل الجبل الذى ينسب إليه بين قلنبريه وشنترين فعاث فى أهل الملتين المسلمين والنصارى ، وجرت له خطوب عظيمة إلى أن قتله إذ فنش الطاغية صاحب جليقية (٣٧).

وفى عهد الأمير محمد ثار رجل يسمى محمد بن تاكيت وهو من قبائل مصمودة ، وتوجه إلى ماردة التى كان يقطنها فى ذلك الحين بعض الجند من العرب وبعض الناس من قبيلة كتامة وتمكن ابن تاكيت من طردهم منها بحيلة بارعة ، واستقر بها مع جماعته من المصامدة . ويقول ابن خلدون عن ابن تاكيت : كان محمد بن تاكيت من مصمودة وثار بناحية الثغر أيام الأمير محمد ، وزحف إلى ماردة ، وبها يومئذ جند من العرب وكتامة فاعمل الحيلة فى إخراجهم منها ونزلها هو وقومه مصمودة ، ولما ملك ابن تاكيت ماردة زحفت إليه العساكر من قرطبة ، وجاء عبد الرحمن بن مروان من بطليوس مددا له فحاصروهم اشهراً ثم اقلعوا ، وكان بماردة جموع من العرب ومصمودة وكتامة فتحيل محمد بن تاكيت على العرب وكتامة واقاربهم فاخرجهم واستقل بماردة هو وقومه ، وعظمت الفتنة ببينه وبين عبد الرحمن بن مروان صاحب بطليوس بسبب مظاهرته عليه وحاربه وهزمه ابن مروان مرار كانت احداها على لقنت استلحم فيها مصمودة فقصت من جناح ابن تاكيت ، واستجاش بسعدون السريناقى صاحب قلنبرة فلم يغنه ، وعلا كعب ابن مروان عليهم ، وتوثق امره وطلبه ابن حفصون فى الولاية فامتنع ، ثم هلك اثر ذلك فى سنة ... أيام الأمير عبد الله وولى ابنه عبد الرحمن بن مروان ، وأثخن فى البرابرة المجاوريين ، وهلك لشهربين من ولايته فعقد الأمير عبد الله على بطليوس لأميرين من العرب ولحق من بقى من ولد بد الرحمن بحصن شونة ، وكانا اثنين من اعقابه وهما مروان وعبد الله ابنا ابنه محمد وعمهما مروان ، ثم خرجا من حصن شونة ولحقا بآخر من أصحاب جدهما عبد الرحمن . ثم اضطرب الأميران ببطليوس وتنازعا ،

وقتل أحدهما الآخر واستقل ببطليوس ، ثم تسور عبد الله منها سنة ست وثمانين فقتله وملك بطليوس واستفحل أمره والمعجل له الأمير عبد الله عليها . ونازل حصون البرابرة حتى طاعوا له ، وحارب ابن تاكيت صاحب ماردة ، ثم اصطلحوا وأقاموا جميعا طاعة الأمير عبد الله ، ثم تحاربوا واتصلت حروبهم إلى آخر دولته [٣٨].

سنة ٢٧١ هـ (٨٨٤/٦/٢٩ إلى ٨٨٥/٦/١٨)

يذكر ابن خلدون بعد أن روى أحداث عام ٢٧١ هـ أن هاشما قد سار لمحاربة عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى قلعة مونت مولين Mont Molin ، ولكنه عاد مسرعا إلى قرطبة ، ولقد خرج ابن مروان من قلعة مونت مولين ، وهاجم اشبيلية وبلدة فوينتيس دى كانتوس Fuentes de Cantes ، واستقر بعد ذلك فى حصن مونت سالود Mont Salud ، حيث دافع عن نفسه قوات الأمير التى اضطرت إلى عقد الصلح مع ابن مروان الذى ظل ساكنا إلى الطاعة حتى وفاة الأمير محمد (جـ ٤ ص ١٣٤) [٣٩].

وفى حوادث هذه السنة عند ابن الأثير يقول : سير محمد صاحب الاندلس جيشا مع ابنه إلى مدينة بطليوس ، فزال عنها ابن مروان الجليقى وكان مخالفا كما ذكرنا ، وقصد حصن أشير غرة فتحصن ، وأحرق المنذر بطليوس [٤٠].

سنة ٢٧٢ هـ (٨٨٥/٦/١٨ إلى ٨٨٦/٦/٨م).

يعود ابن الاثير مرة أخرى إلى الاشارة إلى قلعة أشير غرة حين حديثه عن عام ٢٧٢ فيقول : وفيها سير صاحب الأندلس إلى ابن مروان الجليقى ، وهو بحصن اشير غرة ، فحصروه ، وضيقوا عليه [٤١].

ويشير ابن عذارى إلى ذات الغزوة ، لكنة يحدد قيادتها فيقول : وفى سنة ٢٧٢ خرج عبد الله بن الأمير محمد ، والقائد هاشم بن عبد العزيز ، وقصد الغرب إلى ابن مروان وهو بجبل "

اشبر غزة " فنازله وحاربه " .(٤٢)

سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩/٥/٦ إلى ٨٩٠/٤/٢٥ م)

رغم ان ابن مروان كان قد اعلن طاعته للأمير عبد الله ، وان الامير قد اعترف له بدرجة من السيادة على بطليوس إلا أنه كان مستعدا دائما للخروج عن طاعته ، ونهب الاقاليم المجاورة له ، ومن ثم حينما قام بربر ماردة بالاغارة على مدينة أشبيلية ولم يعترضهم أحد حتى عادوا وقد ملئت حقائبهم بالغنائم ، فرجعوا صادرين عن أشبيلية ، وقد فقدوا خلقا كثيرة من أهلها ، قام عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فأقبل بعسكره من بطليوس حتى نزل قرية مورة من اقليم البر المذكور ، على ثلاثة فراسخ من الحاضرة ، فشن الغارة عليها وعلى ما حولها ، وأقام أياما أيضا فظهر عجز السلطان ، وبان وهنه ، ومقتته الرعية ، وقويت أطماع أهل الشر فى كل جهة (٤٤).

يشير بان الخطيب إلى ثائر آخر ممن تمردوا فى هذا الوقت فى باجة بأرض الغرب اسمه عبد الملك بن أبى الجوا فيقول : اقتعد مدينة باجة وتحصن بحصن " ماقلة" ، وله حظ من صنعة تشييد وعدة ، وكان قائما بدعوة المولدين معاقدا لابن مروان صاحب بطليوس ، ، وابن بكر صاحب اشكونة ، فكانوا البا على من خالفهم ، ويدا على من خرج عنهم (٤٥).

ويشير أيضا إلى ثائر آخر فى مدينة سنت مرية Santa Maria اسمه ابو بكر بن يحى ، ويسميه ابن عذارى بكر بن يحيى بن بكر ، ويقول عنه وثار بكر بن يحيى بن بكر ، واقتعد مدينة شنت مرية من كورة اكشونية Osonva وبناها حصنا اتخذ عليه ابواب حديد ، وكان له ترتيب واهمية ، ورجال شجعان وعدة موفرة ، وكان يتشبه – بزعمه – فى سلطانه بابراهيم بن حجاج ، وكان له أصحاب للرأى ، وكتاب للعمل ، وكان له عهد مؤكد إلى جميع من فى طاعته بإضافة ابناء السبيل ، وقراء النزيل ، وحفظ المجتازين ، فكان السالك بناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه (٤٦).

ويزيدنا ابن حيان فى معلوماتنا عن ثورة شنت مرية Santa Maria فى غرب الاندلس ، فلا يقتصر على مجرد اعطائنا المزيد من المعلومات عن ذلك الشخص المسمى بابى بكر ، وإنما يقدم لنا معلومات هامة عن والده وجده فيقول : " اقتعد مدينة شنت مرية من الكورة اشكونية ، وبناها ، واتخذ عليها ابواب حديد ملبسة عجيبة الصنع ، وكان ترتيب واهبة ورجال شجعان وعدة موفرة ، وكان يتشبه فى سلطانه بابراهيم ابن حجاج ، وله أصحاب للرأى وكتاب للعمل ، وكان له عهد مؤكد إلى جميع من فى طاعته باضافة ابناء السبيل ، وقرى النزال ، وحفظ المجتازين ، فكان السالك فى ناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه .

وقال ابن النظام : يحى بن بكر بن زلدف المنتزى بكورة اشكونية ، القائم بدعوة المولدة ، كان جده زدلف أعجميا مولى لبكر بن نجاد الأورى ، سمى ولده باسم مولاه . فانجبت ولادته وسعت همته ، فثار ابن ابنه يحى بن بكر أبان ثورة المولدين ، أخريات الامير محمد ببلده وتغلب على مدينة شنت مرية باشكونية ، وجمع الرجال ، واستغلظ أمره إلى أن غلب على جميع كورة أشكونية Osonva .

توفى ابنه يحى بن بكر فاظهر الانحراف إلى الطاعة ولاطف الأمير عبد الله بن محمد فولاه على بلده فاستوطن مدينة شلب Silvesوسط الكورة وعمرها ، وقويت شوكته بالرجال ، وهو فى ذلك مقيم على رأيه ورأى أهل بيته فى عصبيته للمولدين والعجم وانحرافه عن العرب ، يواصل على ذلك حلفاءه من أهل الجليقى ببشتر واشكالهم ويواليهم ولا يقطعهم إلى أن هلك فى صدر دولة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد (٤٧).

أما ثائر باجة الذى يسميه ابن الخطيب بعيد الملك بن ابى الجوار يسميه ابن عذارى عبد الملك بن أبى الجواد ويقول عنه أنه " اقتعد مدينة باجة وملكها وتحصن بحصن مارتلة وله حظ من المنعة تشييدا وعدة ، وكان معاقدا لابن مروان صاحب بطليوس فى هذا التاريخ ، وابن بكر صاحب اكشونية ، فكانوا متألبين على من خالفهم (٤٨).

ويؤكد ابن حيان رواية ابن عذارى (٤٩) . وخاصة فيما يتعلق باستقراره فى باجة ، ومع اختلاف بسيط فى التسمية ، ولم يذكر تاريخا لهذه الاحداث مثلما هو الحال عند سابقيه .

فى حدود هذا التاريخ تقريبا يمكننا الاعتقاد بانه يشير إلى وفاة عبد الرحمن بن مروان .

فى بطليوس ، وإعلان ابنه مروان حاكماً من بعده ، وموت مروان هذا بعد شهرين بعد الاحداث التى سبقت الاشارة اليها على انها اعقبت احداث عام ٢٦٥ هـ .

سنة ٢٨٥هـ (٢٨/ ٨٩٨ الى ١٧ /١ / ٨٩٩ م)

يقدم كل من ابن عذارى وابن حيان بعض المعلومات بأنه فى عام ٢٨٥ هـ خرج عباس بن عبد العزيز القائد الى كركى وجبل البرانس فوطىء تلك الجهة ، وقتل ابن يامين وابن ماجول من اعلام المخالفين وأخذ حصونها (٥٠) .

سنة ٢٨٦ هـ (١٧ / ١ / ٨٨٩ الى ٧ / ١ / ٩٠٠ م)

سبقت الاشارة الى ان مروان بن عبدالرحمن بن مروان الجليقى قد وافته المنية فى حدود عام ٢٧٦ هـ بعد شهرين فقط من وفاة والده ، وأن الأمير عبد اله قد اعطى حكم بطليوس الى قائدين عربيين ، ولكن ما اسرع ما دب بينهما الخلاف ، وقتل احدهما الاخر ، وبقى فى السلطة وحده ، ومن المحتمل انه اعلن استقلاله ، على الاقل من الناحية الفعلية ، لان المؤلفات تشير الى انه فى حدود عام ٢٨٦ هـ ، قام الأمير بالاستيلاء على المدينة وقتل الثائر بيها .

سنة ٢٨٨ هـ (٢٦ / ١٢ / ٩٠٠ الى ١٦ / ١٢ / ٩٠١ م)

تسجل المصادر انه فى العاشر من شهر رجب من سنة ٢٨٨ هـ او العاشر من يوليه عام ٩٠١م وقوع معركة بين المسلمين والنصارى بالقرب من مدينة زامورا Zamora ويسميها ابن حيان " يوم زامورا " وقد لقى جيش المسلمين فى هذه المعركة هزيمة قاسية ولم يكن هذا الجيش من قوات الحكومة القرطبية بل من جنود متطوعة قام بتحميسها احد الفقهاء المسلمين

والذى قاد الجيش على أمل القضاء نهائياً على المسيحيين(٥١).

وإلي هذه المعركة الكبيرة أشارت ايضاً المصادر النصرانية ، لكن ابن حيان هو الذى قدم لها وصفاً دقيقاً ومسهباً استفاد منه دوزى Dozy استفادة كثيرة .

لكن الذى يعنينا حقيقة من هذه المعركة هو ان جموع المتطوعة قد قدمت فى غالبيتها العظمى من مدن بطليوس وماردة وطليطلة ، وهى أقاليم يسكن معظمها البربر المسلمون ، ولقد كانوا - علي مايبدو - أكثر استعداداً وميلاً لقبول الوعظ والارشاد وكلمات الشيوخ والمتنبئين على ما يقول مؤرخنا صاحب كتاب سامبرون Cranica Sampiron عند تحليله للأسباب التى ادت الى هذه الكارثة .

سنة ٣٠٢ هـ (٢٧ / ٧ / ٩١٤ الى ١٧ / ٧ / ٩١٥ م)

بناء على قول بن خلدون فإنه فى اول المائة الرابعة ملك على الجلالقة أردون من رزمير بن برمند بن قريولة بن أدفونش بن بيطر ، وخرج فى سنة ثنتين وثلثمائة الى الثغر الجوفى لأول ولاية الناصر ، وعاث فى جهات ماردة واخذ حصن الحنش ، وبعث الناصر وزيره احمد بن عبده فى العساكر الى بلاده فدوخها (٥٢) .

وفى مدونة سيلوس التاريخية Cronica de silos فإنها تورد التاريخ متأخراً اربع سنوات ومع ذلك يبدو انها تشير الى هذه الحملة التي قام بها اردونيو الثانى Ordono ، ومن ثم فمن المهم جداً لنا ان نعرف أنه قام تدمير كورة ماردة والاستيلاء على حصن Alanje والذى يطلق عليه Castrum Colubri فإنه يعرف هذه الايام باسم حصن الحنش Alhanze ، وأضاف بانه قد قتل كل البرابرة الذين كانوا يدافعون عن الحصن واسرت نساؤهم وسبيت أطفالهم ، وأنه قد استولى المهاجمون على غنائم وافرة من الذهب والفضة وملابس الحرير ، ومع ذلك يضيف فيما بعد ، ان جميع سكان ماردة ، وحاكمها قد خرجوا الى بطليوس بهدايا لا تحصى طالبين السلام ، ولعل فى هذا مبالغة كبيرة جداً مبعثها التعصب الوطنى .

سنة ٣١١ هـ (٢١ / ٤ / ٩٢٣ الى ٩ / ٤ / ٩٢٤ م)

فيما يمكن ان نسميه بحوليات عام ٣١١ نجد ابن عذارى يشير الى قتل عبد الله بن محمد بن مروان الجليقى ، صاحب بطليوس ، دخل عليه بعض اهل الموضع فقتلوه (٥٣) .

ولكن هذا النص رغم وضوحه فى ذاته فإنه لايبدو مفهوماً لعدم علمنا بتطورات الاحداث المؤدية اليه ، ويبدو ذلك اذا ما قارناه بما يقوله ابن حيان : ان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن كان رهينة فى قرطبة ، وأنه قد منح حكم مدينة بطليوس بعد وفاة جده وعمه ، ويؤكد ذلك ما رأيناه من أنه بعد موت عبد الرحمن بن معاوية خلفه ابنه مروان ، ونقول ذلك بناء على الاختلاف فى النص فى كتاب بن خلدون فى نسخته المخطوطة رقم ٥٠١٩ بباريس ، وهو اختلاف وضح لنا بصورة طيبة ماعجز النص المطبوع من الكتاب عن توضيحه .

سنة ٣١٦ هـ (٢٥ / ٢ / ٩٢٨ الى ١٣ / ٢ / ٩٢٩ م)

يقول ابن عذارى وفيها : خرج احمد بن اياس القائد غازياً الى كور الغرب فافتتح مدينة ماردة ومدينة شنترين بلا حرب ونزلوا اليه بالامان ، ووافاهم غاية الاحسان (٥٤) .

سنة ٣١٧ هـ (١٤ / ٢/ ٩٢٩ الى ٣ /٢/ / ٩٣٠ م)

مات عبد الله بن مروان ، ولاندرى الى من انتقل ميراثه فى حكم بطليوس ومن المرجح ان احد افراد هذه الاسرة قد نهض بهذه المهمة ، لأن ابن عذارى يشير فى حديثه عن هذه السنة ويقول : وفيها كانت غزاة الناصر الى مدينة بطليوس لمحاربة اهلها وابن مروان المنتزى عليه فيها ، فبرز رحمه الله لغزاته هذه يوم الخميس لعشر خلون من ربيع الاول ، وهو اليوم الثالث والعشرون من نيسان ، ووصل من قصر قرطبة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر ، وهو اليوم الرابع والعشرين من أيار ، وذلك بعد بروزه بأحد وثلاثين يوماً ، وأغزى معه ولى عهده الحكم المستنصر بالله وابنه المنذر وكان احتلاله بالجيوش على (مدينة) بطليوس

يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر . وواضعهم الحشم القتال فى افنيتهم وعلى ابواب دورهم وتقحموا عليهم داخل ارباضهم ، وقتلوا منهم فى ثانى احتلالهم عليهم جملة بعثت برؤوسهم الى قرطبة وقطعت ثمارهم ، وأحرق ما أخلوه من ديارم خارج سورهم ، وبقوا محصورين فى المدينة ، وأقام عليهم الناصر عشرين يوماً ، ثم أبقى عليهم أحمد بن إسحاق فى قطيع من الجند وانتقل الى جهة ماردة ، فأصلح الاحوال بها ، وولاها محمد بن اسحاق وندب معه عدة من الحشم ، ثم عاد رحمه الله الى مدينة بطليوس ، فاضطربت عساكره عليها من غير الجهة التى كانت اضطربت فيها أولاً ، وتولى من نكايتهم واليم محاصرتم ، ماأذاقهم به وبال عصيانهم ، وعاقبة غيهم ، وضلالهم ، ثم أرتب عليهم أحمد بن إسحاق قائداً فى جيش كثيف ، ورجال منتقين ، وعدد كاملة وامره بالتشدد فى حصرهم والاستبلاغ فى مضايقتهم ، وانتقل ناهضاً الى مدينة باجة ، فنزلها يوم الاحد مستهل جمادى الآخرة واضطربت عساكره عليها ، وتقدم بالاعذار الى عبد الرحمن بن سعيد بن مالك الذى كان بها ودعاه الى الطاعة فلاذ والتوى فنصبت المجانيق عليه وحورب أشد محاربة وقتل من رجاله عدد كثير وانحطت بعض ابراج المدينة بمن كان عليها فضربت رقابهم بين يدى المظل ، فاستأمن عبد الرحمن بن مالك واهله وجميع أهل باجة امير المؤمنين (الناصر) وخضعوا لأمره ونزلوا على حكمه ، فأوسعهم أمانة ، واخرجوا عن المدينة ونقلوا الى قرطبة ودخلها الناصر وولاها عبد الله بن عمر بن مسلمة ، وندب معه فيها قوة واكثف له الجمع والعدة وامره بابتناء قصبة فيها ينفرد بها العامل ويسكنها .

وكان مقام الناصر على باجة خمسة عشر يوماً . ثم انتقل منها قاصداً الى مدينة اكشونبة بقرب الساحل الغربى من البحر المحيط ، فاحتل بها يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة ، وكان قد افتتح فى طريقة حصن الوقاع ، وأصاب فيه لخلف بن بكر صاحب أكشونة أموالاً وعدة وسلاحاً ، فغنم ذلك الحشم وأهل العسكر وصار لهم نفلاً ثم تلقى رسل خلف بن بكر امير المؤمنين ، مظهراً للإنابة وملتزماً للطاعة ، ومتوسلاً ببعد الدار والقاصية ، وأخرج الى

الناصر النزائل ، وأقام له الوظائف والتزام إدرار الجباية الكاملة ، وأظهر أهل ذلك الجانب فيه رغبة شديدة ووصفوه بسيرة حميدة ، فأقره الناصر عليهم ، وفرض عليه من الجباية ما التزم ايراده له في كل عام ، وعهد اليه بحسن السيرة والرفق بالرعية والا يقبل نازعاً ولا يكتنف هارباً ، فالتزم جميع ما أمر به ووقف عند ما حد له وقف الناصر عن مدينة أكشونبة يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ودخل القصر بقرطبة يوم الاحد لأربع عشرة ليلة خلت من رجب وقد استتم في غزاته ثلاثة وتسعين يوماً (٥٥) .

لقد اتخذ عبد الرحمن الناصر لقب امير المؤمنين عام ٣١٦ هـ واخضع يفى زمن قصير جميع الثائرين والمتمردين الذين زعزعوا عرش بنى امية على عهد الحكام السابقين ، يمكن لنا القول الآن ان اسبانيا الاسلامية قد وصلت فى هذه الاعوام الى وحدة قويه لم تتمتع بها أبداً من قبل وان لم تدم هذه الوحدة طويلاً ، حيث لم تعمر الا اقل من قرن من الزمان .

فرانثيسكو قوديرة

هوامش الترجمة

١ – المخطوط العربى فى اكاديمية التاريخ بمدريد رقم ٨٠ الورقة ٢٦٧ .

ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ـ طبعة دار الكتاب العربى ببيروت جـ ٥ ص ١٩٥

٣ – يروى لنا ابن الاثير فى جـ ٥ ص ١٢٥ عند حديثه عن عام ١٩١ هـ كيف تمردت مدينة ماردة تحت قيادة اصبغ بن عبد الله وكيف وافقه اهل ماردة واخرجوا عامله واتصل الخبر بالحكم فسار اليها وحاصرها ، فبينما هو مجد فى الحصار اتاه الخبر عن قرطبة انهم اعلنوا العصيان له فرجع مبادراً ، فوصل قرطبة ...... ولم يزل اهل ماردة تارة يطيعونه ومرة اخري يعصون الى سنة اثنتين وتسعين ، فضعف امر صبغ لان الحكم تابع ارسال الجيوش اليه واستعمال جماعة من اعيان اهل ماردة وثقاته من أصحابه فمالوا اليه وفارقوا أصبغ حتى اخوه ، فتحير اصبغ وضعفت نفسه ، فأرسل يطلب الامان فأمنه الحكم ففارق ماردة ، وحضر عند الحكم ، وأقام بقرطبة .

٤ – هكذا اورد قوديره النصر باللغة العربية ضمن بحثه الاسبانى .

٥ – مدينة منية هى مدينة Valencia de Mino فى احواز البرتغال حالياً .

٦– ابن الاثير : الكامل فى تاريخ جـ ٥ ص ٢١٧

٧ – انظر ص ١١ و ص١٢ من النص الاسبانى نقلاً عن مخطوط الاكاديمية الملكية للتاريخ رقم ٨٠ الورقة ٢٧٣ .

٨ – ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٨٣ .

٩ – مجهول اخبار مجموعة ص ١٢٤ – ١٢٥ .

١٠ – تقع هذه القلعة بالقرب من بلدة Mino.

١١ – اشار الكاتب الى مقتل عدد كبير من الاسرائيلين ، ولعله يقصد بعض اليهود ممن كانوا يناصرون محمود بن عبد الجبار ، اما تعبير " البرابرة " فيقصد بهم هنا كل الذين كانوا يناصرون محمود بن عبد الجبار من المسلمين او النصارى او اليهود من سكان المنطقة .

١١ ـ ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ٥ ص ٢١٩ .

١٢ – ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٨٤

١٣ – لم يشر المؤلف هنا الى انه فى عام ٢١٧ هجرية حوصرت ماردة ، وضيق عليها حتى فر عنها يخلق كثير ، وقتل منهم كثير (ابن عذارى جـ ٢ ص ٨٣)

١٤ – ابن عذارى – البيان المغرب جـ ٢ ص ٨٥

١٥ – الصنبى بغية الملتمس الترجمة رقم ١٠٥٤

١٦ – ابن عذارى : البيان جـ ٢ ص ١٣٥ . وأوردت الترجمة الاسبانية هذا النص عند ذكر ابن مروان فى المصادر مشيرة الى ان النص ورد بدون تحديد تاريخ بينما الواقع انه حدده بعصر الامير عبد الله بن محمد أى بعد عام ٢٧٥ هـ (المترجم)

١٧ – ابن القوطية : افتتاح الاندلس ص ١٠٠ – ١٠١ .

١٨ – ابن حيان المقتبس ، تحقيق د . محمود على مكى ، طبعة بيروت ١٩٧٣ صفحة ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، وتعتبر ترجمة ابن مروان عند ابن حيان من أكثر النصوص التي وردت فى المصادر العربية ولكن هذا المخطوط – يبدو – انه لم يكن متيسراً امام قوديرا حين كتابة هذا المقال .

١٩ – اقرأ رواية ابن حيان عن لجوء ابن مروان الى الملك ادفونس ملك اشتوريس حيث يرويها

نقلاً عن الرازى فى كتابه المقتبس ، تحقيق مكى ، ص ٣٧٩ ومابعدها .

٢٠ – ابن خدلون : تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ١٣١ وإذلك ص ١٣٣ .

٢١ – ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ١٠٠ ، وأورد ابن حيان تلك الرواية فى المقتبس تحقيق مكى – ص ٣٢٢ مضيفاً الى ذلك بعض التفصيلات

٢٢ – ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ٥ ص ٣٢٩ .

٢٣ – انظر ابن خلدون ج ٤ ص ١٣٣ وقارن بينها وبين روايته الواردة فى ص ١٣١ من نفس المجلد (المترجم) .

٢٤ – ابن الاثير : الكامل فى التاريخ يجـ ٦ ص ٧ .

٢٥ – ابن عذارى : البيان المغرب ص ١٠٢ ، ويورد ابن حيان رواية اكثر تفصيلاً عن هروب ابن مروان الجليقى واصحابه من سجنهم فى قرطبة سنة ٢٦١ هـ فيقول : وكان عبد الرحمن بن مروان قد ظاهر اصحابه المنتزين معه عند فرارهم من قرطبة على ان يكون اجتماعهم بحصن الثلج وان يكون منه ظهورهم ، فانكمشوا لترحالهم وخرجوا من قرطبة متفرقين فى اوقات مختلفة وعلي طرق شتى ، فلما اجتمعوا بالحصن المذكور أظهروا الخلاف عشى يومهم ، وعقدوا موكبهم ، ونشروا علمهم ، واشاعوا ان الامير محمدا قد مات وان لاطاعة عليهم و وخرجوا بجمعهم فشنوا الغارة على كل من لقوه والناس بغرة (انظر المقتبس المشار اليه ص ٣٤٧ وفيه المزيد من التفاصيل (المترجم)

٢٦– ورد النص عند ابن حيان ضمن شروط اشترطها ابن مروان على الامير محمد ، وشرط ان ينزل بطلبيوس ـ قاطبة الغرب ـ يبينها لنفسه ومن معه ويدعو فيها للأمير محمد لا يلتزم من طاعته شيئا غير ذلك ، فأجيب الى ذلك ، وتم له النزول ببطليوس والاستقرار مديدة (ابن حيان السفر المشار اليه ص ٣٤٥)

٢٧ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ـ ٦ ص ١٤

٢٨ - سبق ان اشرت الى هروب ابن مروان من قرطبة نقلاً عن ابن حيان (المترجم)

٢٩ - ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣

٣٠ - ابن القوطية : افتتاح الاندلس ص ١٠١

٣١ - ابن القوطية : افتتاح الاندلس ص ١٠٢

٣٢ - ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ١٠٣

٣٣ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ١٣١

٣٤ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ يج ٧ ص ١٥ - ١٦

٣٥ - ابن عذارى : البيان يالمغرب جـ ٢ ص ١٠٣

٣٦ - ابن عذارى : البيان يالمغرب جـ ٢ ص ١٠٣ وكذلك وردت هذه االرواية عند ابن حيان فى المقتبس ، النسخة المشار اليها ص ٣٨٥ . (المترجم)

٣٧ - نقلت هذا النص الواضح المفصل من أحدث طبعات السفر الثالث من مقتبس ابن حيان تحقيق الدكتور اسماعيل العربى ومن منشورات دار الآفاق الجديدة بالمغرب ، الطبعة الاولى ١٩٩٠ م ص ٣٤ (المترجم)

٣٨ - لم يكن النص الاسباني متسقاً فنقلت نص ابن خلدون حول ابن تاكيت والمنطقة وهو ما كان يترجمه قوديره ، وأرجعته هنا الى الاصل المنقول منه ، انظر تاريخ ابن خلدون جـ٤ ص ١٣٣ (المترجم)

٣٩ - لم اجد هذا النص عند ابن خلدون لا فى الصفحة المشار اليها ولا فى غيرها .

٤٠ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ٦ ص ٥٩

٤١ - ابن الاثير : نفس المصدر جـ ٦ ص ٦٠

٤٢ ابن عذاري : البيان ج ٢ ص ١٠٥ ويلاحظ هنا الاخذ بقراءة اخرى لاسم الحصن ، مع وجود التسمية الاخرى اشير غرة فى واحدة من المخطوطات (المترجم)

٤٣ - ابن حيان : المقتبس ، السفر الثالث ، تحقيق د . اسماعيل العربى ، ص ٧٥

٤٤ - نفس المصدر ص ٩٢ - ٩٣

٤٥ - ابن حيان : المقتبس ، السفر الثالث ، ص ٣٣ : نقلت النص من عند ابن حيان لأننى لم اتعرف على المصدر الذي ينقل منه من مؤلفات ابن الخطيب ، وانظر ايضاً البيان المغرب جـ ٢ ص ١٣٥

٤٦ - اثبت النص الذى اورده ابن عذارى فى جـ ٢ ص ١٣٧ لأنه النص الذى اقتبسه المؤلف فى ترجمته الاسبانيه

٤٧ - ابن حيان : المقتبس - السفر الثالث ، ص ٣٤

٤٨ - ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ١٣٥

٤٩ - من الواضح ان ابن عذارى هو الذى ينقل عن ابن حيان وان كان الاسم عند ابن حيان عبد الملك من أبى الجوا فهو عند ابن عذارى ابن ابى الجواد ٥٠ ابن حيان : المقتبس - السفر الثالث . ص ١٤٩ .

ابن حيان : المقتس ـ السفر الثالث . ص ١٤٩

٥١ - اورد ابن حيان نصاً مطولاً ومفصلاً عن يوم سامورة وعن الداعي المعروف بابن القط القرشى الذى خرج على الامير عبد الله ودعا الناس للجهاد ومحاولة تحرير مدينة

سمورة من أيد النصارى لخطرها على بلاد المسلمين ، وكيف استجاب له عشرات الآلاف لكنه لقى الهزيمة لما كان بين اصحابه من خلاف فبعد ان اصبح النصر له قاب قوسين او ادنى فاذا ببعض القبائل البربرية تحسده على ذلك ، ونفر من المعركة لكى تقع به الهزيمة ، انظر تفضيلات ذلك فى السفر الثالث من مقتبس ابن حيان ص ١٥٥ ومابعدها

٥٢ – ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ١٤١

٥٣ – ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ١٨٥

٥٤ – ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ١٩٨

٥٥ – نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٠ – ٢٠١

المصادر

١ ـ ابن الأثير : ابو الحسن على بن أبى الكرم المتوفى ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م .

الكامل فى التاريخ ، طبعة دار الكتاب العربى ببيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٣م

٢ - ابن حيان : ابو مروان حيان من خلف بن حسين بن حيان المتوفى ٤٢٢هـ / ١٠٣١ م

المقتبس فى تاريخ الاندلس ، السفر الثانى ، تحقيق د. محمود على مكى ، بيروت ١٩٧٣ .

السفر الثالث ، تحقيق د . اسماعيل العربى ، دار الآفاق بالمغرب ، ١٩٩٠

٣ - الخشنى : محمد بن الحارث تاريخ قضاة قرطبة ـ طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة ١٩٦٦ .

٤ - ابن خلدون : عبد الرحمن المتوفى ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ هـ

تاريخ ابن خلدون ، طبعة مؤسسة جمال للطباعة والنشر ببيروت د . ت .

٥ - سالم : الدكتور السيد عبد العزيز

تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس

دار النهضة العربية ببيروت ١٩٦١ م

٦ - الشكعة : د . مصطفى الشكعة

المغرب والاندلس : افاق اسلامية وحضارة انسانية ومباحث يادبية ـ دار الكتاب المصرى واللبنانى بالقاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٨٧ م

٧ - الضبى : احمد بن عميرة المتوفى ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م.

بغية الملتمس ، طبعة دار الكتاب العربى بالقاهرة ١٩٦٧

٨- ابن عذارى : ابو عبد الله المراكشى المتوفى فى ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م .

البيان المغرب ـ طبعة دار الثقافة ببيروت د. ت

٩- عيســـــى : الدكتور محمد عبد الحميد عيسى

تاريخ التعليم فى الاندلس ، ودار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٨٢ م

الفتح الاسلامى للأندلس ، مطبعة سعيد رأفت بالقاهرة ١٩٨٥ م .

١٠ ـ ابن القوطية : ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المتوفى ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م .

تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق الابيارى طبعة دار الكتاب المصرى القاهرة القاهرة ١٩٨٢

١١ ـ مجهول : كتاب اخبار مجموعة تحقيق ابراهيم الابيارى ، طبعة دار الكتاب المصرى بالقاهرة ١٩٨١ م

١٢ ـ النباهى : ابو الحسن ـ تاريخ قضاة الاندلس ، طبعة بيروت د . ت

١٣ ـ تغنق : الدكتور عبد الحميد ـ الاسلام فى طليطلة ، طبعة دار النهضة العربية ببيروت د . ت .

14 - Diccionario itustrado de la lengua Espanola , Enciclopedia Universsal Sopena - Tomo2madrid 1970 .

مطبوعات قسم العلوم الاجتماعية

بكلية التربية ـ جامعة عين شمس

القاهرة ـ ١٩٩٠